نجاة الخلف

في اعتقاد السلف

1431هـ/2010م

رقم الإيداع:

الصف والإخراج بمركز البراء لفن الطباعة

773634103 712331058

دار الآثار
للنشر والتوزيع

الجمهورية اليمنية ـ صعدة
مركز دماج للدراسات الإسلامية

نجاة الخلف في اعتقاد السلف

للشيخ العلامة عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي

تحقيق وتعليق

أبي محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يليق بجلال عظمته وعظيم سلطانه وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه و على آله سلم من أهل رضوانه ،أما بعد :

فإن الله عز وجل بمنه وكرمه وجوده وإحسانه قد حبب إلي علم الكتاب والسنة فله الحمد و المنة على كل حال وكان مما حببه إلي دراسة العقيدة الصحيحة وتدريسها والمطالعة في كتبها وفي يوم من الأيام وقفت على رسالة الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي المعنونة « بنجاة الخلف في اعتقاد السلف » فطالعتها بشغف وشوق ثم رغب إليّ بعض إخواني في شيء نمر عليه من الكتب فاخترت هذه الرسالة مع ما فيها من الاختصار ثم من عليّ ربي سبحانه وتعالى بالتعليق عليها بعد ذلك وهو ماتراه إن شاء الله .

واعلم أخي المسلم أينما كنت وحيث حللت أنه لا نجاة لك في الدنيا من الفتن الدينية من بدع وضلالات وافتراق و تحزبات إلا بملازمة عقيدة السلف رضوان الله عليهم وقديما قال الزهري رحمه الله تعالى أدركت كثيرا من علمائنا يقولون :"التمسك بالسنة نجاة " ، وهذه العبارة القصيرة في مبناها العظيمة في معناها يدل عليها مثل قول الله عز وجل: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ**

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور:63].

كما أنه لا سلامة ولا نجاة في الآخرة إلا لمن كان على هذا السير ومن أهل هذا المسير قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**» أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله المرء يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ فقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» قال أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن فرحي بمثل هذا الحديث

فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

فمن هذا الحديث وغيره في الباب يظهر جليا أن السعادة والسلامة والهدى والفلاح والعز هو بملازمة سير القوم الذي قال الله عز وجل عنهم ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة:100]

فما أثنى الله عليهم هذا الثناء وجعل إتباعهم دليلا للإحسان وسببا إلى الرضوان إلا لسلامة الأقوال والأفعال والاعتقادات ولهذا بين أن من أعظم أسباب دخول النار مشاقتهم قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء:115]

فسبيل المؤمنين هو عبادة الله عز وجل قولا وفعلا واعتقادًا بالكتاب والسنة والمراد المؤمنين هنا الصحابة فهم داخلون في هذا الوصف دخولا أوليًا وهم ذروة أهل الإيمان ولهذا لمّا قيل للشافعي رحمه الله: من أين لك حجية إجماع السلف استدل بهذه الآية.

فإذا تبين أن إتباع غير سبيل المؤمنين حرام فإتباع سبيلهم واجب وحتم ولا أطيل لأني لما فرغت من التعليق على هذا الكتاب عزمت على تتمته فلما كبرت التتمة أفردتها وأسميتها «سلامة الخلف في عقيدة السلف » أسأل الله عز وجل القبول و العون.

وقد ركز المؤلف رحمه الله في هذا المؤلف على المسائل التي كثر النزاع فيها بين السلف والخلف مثل مسألة العلو ومسألة الكلام مع فوائد غير ذلك وختمه بقواعد نافعة تُرى في موطنها.

والكتاب مفيد وجيد مع وجود بعض ما ينتقد عليه بيّناه في موطنه بحمد الله

وهكذا أي عمل بشري يقع فيه النقص والخلل ويأبى الله عز وجل إلا أن تكون العصمة في كتابه والحمد لله رب العالمين.

عملي في هذا الكتاب :

قمت بما أرى الكتاب بحاجة إليه مثل :

1- التعليق و الشرح والإكمال لما يحتاج إلى ذلك.

2- تخريج الأحاديث والآثار التي في الكتاب .

3- التعقب على ما يحتاج إلى ذلك مع بيان الحق في هذا الموطن .

4- عملت ترجمة مختصرة للمؤلف رحمه الله .

وكنت كما تقدم قد كتبت مقدمة كبيرة حول قواعد الأسماء والصفات ومنهج السلف في هذا الباب لما أرجو به النفع لي ولمن قرأه من المسلمين ثم أضفته إلى كتابي المذكور آنفا .

والحمد لله رب العالمين أولا و آخرا وظاهرا وباطنا والحمد لله على كل حال.

وأقول :

وإن تجد عيبا فسد الخللا قد جل من لا عيب له وعلا

أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزعكري

دار الحديث بدماج –اليمن – صعدة

7/ ذو الحجة/ 1431هـ

ترجمة المصنف :

اسمه :هو الشيخ العلامة عثمان بن أحمد بن سعيد بن قايد النجدي موطنا والحنبلي مذهبا

مولده : لم أجد ما يدل على تاريخ مولده إلا أنه نشأ و ولد في مدينة العيينة ونشأ بها وقرأ على علمائها

شيوخه : شيوخه كثير حيث قرأ على علماء نجد وعلماء دمشق ومن أهمهم

1 -الشيخ محمد بن موسى البصري النجدي

2- الشيخ عبد الحي بن العماد الحنبلي صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب

تلامذته : تلامذته لا يحصون إذ انتفع به خلق كثير في نجد والشام ومصر زمن أشهرهم :

1- الشيخ أحمد بن عوض المرداوي الحنبلي
2- الشيخ محمد بن الحاج مصطفى الجنيني

مصنفاته : له مصنفات متعددة المواضيع وهي :

1- هداية الراغب شرح عدة الطالب مطبوع .

2- رسالة (أيّ) المشددة مطبوع .

3- حاشية على منتهى الإرادات غير مطبوع .

4- مختصر دُرَّة الغوّاص .

5- شرح البسملة .

6- رسالة في الرضاع.

7 – الإسعاف في إجازة الأوقاف.

8- رسالة في القهوة .

9 - تلخيص نونية ابن القيم .

10 – كشف الصوت عند معنى " لو".

وله مجموعة أخرى من الرسائل الفقهية موجودة في مكتبة أوقاف بغداد مخطوطة والله أعلم سلمت من أيدي العابثين أيام دخول الأمريكيين إلى العراق أم لا .

وفاته : توفي رحمه الله مساء الاثنين 14 جمادى الأولى سنة 1097 هـ ذكره الزركلي في الأعلام.

وفي هداية العارفين (2 / 658) أنه كان حيا سنة (1112هـ).

و ذكر الشيخ مجمد حسنين مخلوف في مقدمته ل (هداية الراغب) أنه توفي (1100 هـ)

فالله أعلم أي ذلك كان[1]

---

(1) مصادر الترجمة :

- مشاهير علماء نجد (2 / 683) للبسام .

=

- الإعلام للزركلي (4/ 202، 203).

- معجم المؤلفين لكحاله (6/ 248).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله(1) ....

---

(1) ابتدأ المؤلف –رحمه الله– الكُتاب بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) على عادة المصنفين في فعل ذلك، اقتداءً بالكتاب العزيز، فإن الله عز وجل افتتح كتابه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).

وكذا متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يفتتح رسائله ومكتباته بها ففي البخاري ومسلم عن أبي سفيان رضي الله عنه وفيه، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:64].

وفي مسلم عن البراء قال لما أحصر النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثا ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه. ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحدا يمكث بها ممن كان معه. قال لعلي: «اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». فقال له المشركون «لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله». فأمر عليا أن يمحاها فقال علي: «لا والله لا أمحاها». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرنى مكانها». فأراه مكانها فمحاها وكتب: «ابن عبد الله». فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: «هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج». فأخبره بذلك فقال: «نعم». فخرج.

والباء هنا للاستعانة، أي: بسم الله الرحمن الرحيم أُؤَلِّفُ، أو أَكْتُبُ حال كوني مستعينًا بالله سبحانه وتعالى، بينما ذهب المعتزلة إلى أن الباء للمصاحبة، وهذا مبنيٌّ على معتقدهم الفاسد أن أفعال العباد خلق لهم، فالصحيح أن الباء للاستعانة.

=

(الله): لفظ الجلالة وهو أعرف المعارف، علمٌ على الذات العلية، وهو مشتق، قال الكسائي والفراء: «أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة».

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: «الصحيح أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر. وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة» اهـ.

قال أبو جعفر بن جرير: «"الله" أصله "الإله" أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم. فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل "الله" فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق" وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين "فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة ؟ وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فَعِلَ وَيَفْعَلُ ؟... وذكر بيت رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدَّهِ ... سبحن واسترجعن من تألهي

يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي». انتهى من فتح المجيد.

(الرحمن): اسم من أسمائه الحسنى، و(الرحيم): اسم من أسمائه الحسنى، و(الرحمن): يدل على الرحمة المتعلقة بالذات. و(الرحيم): يدل على الرحمة المتعدية إلى المخلوق. واسم الرحمن أبلغ من اسم الرحيم ؛ لأنه على وزن فعلان.

وقال ابن القيم –رحمه الله-: «"الرحمن" دال على الصفة القائمة به سبحانه، "والرحيم" دال على تعلقها بالمرحوم. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:43]، ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:117] ولم يجئ قط رحمن بهم». انتهى من فتح المجيد.

الحمد هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله، وتعظيمه قاله ابن القيم في «البدائع» (2/ 93).

وقال ابن القيم رحمه الله كما في «بدائع التفسير» (1/ 113): فإن سبحانه يحمد على أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه، وحمده عليها رسله وملائكته والمؤمنين من عباده، فمن لا فعل له البتة كيف يحمد على ذلك، فالأفعال هي المقتضية للحمد، ولهذا تجده مقروناً بها كقوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾ ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ ﴿الحمد لله فاطر السماوات والأرض﴾ اهـ.

قال السمعاني رحمه الله في تفسيره سورة الفاتحة (1/ 364): ثم اعلم أن حمد الله تعالى لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم؛ لأن المخلوق لا يخلو عن نقص، فلا يخلو مدحه نفسه عن كذب فيقبح منه أن يمدح نفسه، وأما الله جل جلاله بريء عن النقص والعيب فكان مدحه لنفسه حسناً اهـ.

وقد ذهب ابن جرير رحمه الله إلى أن الحمد لله هو الشكر لله سبحانه وتعالى، ورد هذا التعريف ابن كثير رحمه الله في تفسيره فقال: وهذا الذي أدعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

اهـ. وهذا التعريف الذي ذهب إليه ابن كثير رحمه الله تعالى قد رده ابن القيم رحمه الله كما في «البدائع» (2/ 95) وبين أن الثناء هو الحمد، إذا تكرر، فقال: فإن الإخبار عن المحاسن إما بتكرار أو لا، فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد، فالثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه إلى بعض، ومنه تثنية الثوب ومنه تثنية الاسم.اهـ

=

واستدل على ذلك رحمه الله بحديث أبي هريرة عند الإمام مسلم: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي» لأنه كرر الحمد .

و اللام في «الحمد» للاستغراق، أي استغراق جميع أجناس الحمد وثبوتها لله تعالى تعظيماً وتمجيداً، قاله القاسمي في «تفسيره».

وكل ما شمله سبحانه وتعالى ملكه وقدرته شمله حمده، قاله ابن القيم اهـ. في طريق الهجرتين.

ونذكر هنا من باب الفائدة الفروق بين الحمد والشكر، والحمد والثناء، والحمد والمجد، والحمد والمدح.

الفرق بين الحمد والشكر: الشكر أعم آلة، أي أنه يكون بالقلب خضوعاً واستكانة وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، بينما الحمد يكون باللسان وبالقلب فقط.

والشكر يكون على الصفات المتعدية فقط، فتقول: شكرته على إحسانه وفضله وعدله، ولا تقول شكرته على سمعه وبصره وجماله.

بينما الحمد يكون على الصفات المتعدية واللازمة، تقول: حمدته على جماله وإحسانه وحمدته على سمعه وبصره اهـ بتصرف من «المدارج» (2/ 246).

قال ابن كثير: واختلفوا أيهما أعم الحمد أم الشكر على قولين، والتحقيق أن بينهما عموم وخصوص، ثم ذكر بنحو ما تقدم من كلام ابن القيم.

وأما الفرق بين الحمد والثناء فالثناء هو الحمد إذا تكرر، والفرق بين الحمد والمجد: أن الحمد يكون من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، بينما المجد يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة، وهذا لأن لفظ (م ج د) في لغتهم يدور على معنى الاتساع والكثرة، فمنه مجد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس، قال الشاعر:

أنت تكون ماجدٌ نبيل إذا تهب شمائل بليل

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: «فإذا قال العبد: مالك يوم العيد، قال الله: مجدني عبدي» فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال اهـ بتصرف من «البدائع» (2/ 95).

وأما الفرق بين الحمد والمدح، فإن كان ذكر المحاسن مع المحبة والتعظيم والإجلال فهو الحمد، وإن كان متجرد عن المحبة والتعظيم فهو المدح، أفاده ابن القيم في «البدائع».

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: وأما المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضاً، كما يمدح الطعام والمكان ونحو ذلك، ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصفات اللازمة =

العلي العظيم، واجب الوجود[1]، الحي القيوم[2]، الدائم[3] الباقي، الملك المعبود[4]، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا[1] محمد، الرسول

والمتعدية أيضاً فهو أعم اهـ.

والحمد يكون أيضاً على الجميل الاختياري، بينما المدح قد يكون على الجميل الاختياري وغير الاختياري، أفاده الشوكاني في «فتح القدير».

أقول: وقد يكون أيضاً المدح مع المحبة والتعظيم خلافاً لابن القيم رحمه الله، فمثلاً إذا مدحت الكعبة وهي جماد أليس هنالك محبة وتعظيم.

(1) قوله: واجب الوجود هذا من المصطلحات الحادثة في تسمية الباري عز وجل، وأول من تكلم به ابن سينا عليه من الله ما يستحق، وخالف سلفه الطالحين من الفلاسفة اليونانيين، حيث كانوا يسمون الرب: "عقلاً وجوهراً" ويسمونه عندهم المبرأ والعلة الأولى وهو عندهم لا يعلم شيئاً سوى نفسه ولا يريد شيئاً، ولا يفعل شيئاً، تعالى الله عن قولهم، وهذا لفظ محدث لفظاً، ومعنى لكن المتأخرين استخدموه على اعتبار أن الموجودات منها واجب الوجود أي ممتنع العدم، وهو الذي وجوده ضروري، وهو الله عز وجل.

الثاني: ممتنع الوجود، أي عدمه ضروري كالشريك وممكن الوجود، وهو الذي وجوده غير ضروري، كهذا العالم، راجع «مجموع الفتاوى» (9/ 277) و«توضيح مصطلحات الطحاوية» (ص32-33) و«منهاج السنة» (2/ 131-132) ط ابن تيمية.

(2)اسمان من الأسماء الحسنى دل على ذلك الكتاب والسنة قال الله عز وجل : ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وذكر هذان الاسمان مقرونان في ثلاثة سور من القرآن سورة البقرة وآل عمران وسورة طه

(3) لا يسمى الله عز وجل بالدائم والباقي، ولا يثبت، في هذه التسمية شيء، ويغني عنهما ما جاء في الكتاب والسنة وأن اسمه سبحانه وتعالى الأول ، ومعلوم أن أسماء الله توقيفية، وتثبت له صفة البقاء قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وإنما ورد هذان الاسمان في حديث أبي هريرة عند الترمذي (3507)وغيره، وزيادة ذكر الأسماء مدرجة نص عليه الحافظ كما في «التلخيص» وغيره، وقد ذكرنا نقولات الحفاظ في رسالة التبيين لخطأ من حصر أسماء الله في تسعة وتسعين (54-59).

(4) المعبود من أسماء الأخبار لا من الأسماء الحسنى، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء، كإطلاق اسم الصانع والقديم، لكن لا يدعى الله بها، راجع «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (6/ 141-142).

المطاع، الأمين المبلغ عن الله دينه القويم بقواطع الآيات والبراهين، فلم يترك باباً من أبواب الخير إلا أمر به ودل عليه، ولا باباً من أبواب الشر إلا نهى عنه، وحذر أن ينتمى إليه[2]، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وتابيعهم، وتابعي تابعيهم من الأئمة الأعلام، الذين لم يزالوا على المحجة البيضاء، فالسعيد من تبعهم من الأنام.

وبعد: فهذه تعليقة لطيفة تشتمل على مسائل من أصول الدين[3] ينتفع بها –إن شاء الله– كثير من المبتدئين والمتوسطين وهي على مذهب الإمام المجبل، والحبر المفضل الإمام الرباني والصديق الثاني[4]، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن

---

(1) رسول الله ص علمنا كيف نصلي عليه كما في حديث كعب بن عجرة وأبي مسعود في الصحيحين وليس فيهما لفظة سيدنا، وإن كان رسول الله ص سيد الناس باتفاق كما في حديث أبي هريرة: «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه لكن خير الهدى هديه. واستخدام الألفاظ الشرعية أولى وأحوط.

(2) يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم (1844).

(3) تقسيم الدين إلى أصول وفروع تقسيم مبتدع.

قال شيخ الإسلام كما في «المجموع» (23/ 346): فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر، وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا عند الصحابة ولا عند التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع اهـ.

ثم جعل رحمه الله يذكر ما جعلوه ضابطاً للمسائل الأصولية ويفندها حيث يزعمون تارة أن الأصول هي المسائل الاعتقادية، وتارة الأصول هي المسائل القطعية، وراجع «منهاج السنة» (5/ 87-88).

(4) أطلق عليه رحمه الله هذا الوصف؛ لأن الله حفظ الدين بأبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الردة، حيث قاتلهم وردهم إلى الجادة، كما عند الشيخين من حديث أبي هريرة، والله لا أقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، الزكاة حق المال.

والإمام أحمد رحمه الله لما حصلت المحنة وهي محنة القول بخلق القرآن أجابهم إلى ما أرادوا كثير من =

حنبل الشيباني –رضي الله عنه وأرضاه- وجعل الجنة منقلبه ومثواه.

ورتبتها على مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، أسأل الله حسنها وقبولها، وبالله أستعين.

العلماء واستخدم التقية كثير منهم، وثبت أحمد ثبوت الجبال الرواسي ونصره الله وكان بعد ذلك مذهبه ومعتقده ظاهراً.

قال علي بن المديني حفظ الله الدين برجلين بأبي بكر في الردة وبأحمد في المحنة.

راجع لذلك «المحنة» لصالح بن أحمد، وكذلك «المحنة» للمقدسي، وترجمة الإمام أحمد في «سير أعلام النبلاء» وكذلك في «البداية والنهاية». تجد صبرا عظيما وعلما غزيرا

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «الإبانة» (ص43): فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية، والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون؟ قيل له: قولنا الذي نقول به وديننا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وما رواه السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين. اهـ.

المقدمة

في معرفة الله تعالى[1]

فنقول وبالله التوفيق: تجب معرفة الله تعالى شرعاً بالنظر في الوجود على كل مكلف قادر، وهو أول واجب له تعالى[2]، وأول نعم الله الدينية وأعظمها: أن أقدره على معرفته[3]، وأول نعم الله الدنيوية: الحياة العرية عن ضرر.

---

(1)يعرف الله عز وجل بآيته الشرعية والكونية قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهَّ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

قال ابن عثيمين في الأصول الثلاثة (19) ويتعرفَ العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله وسنة رسوله والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات فإن الإنسان كلما نظر في تلكم المخلوقات ازداد علما بخالقه ومعبوده ، قال الله عز وجل : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ *وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ اهـ

والمتدبر لكتاب الله عز وجل يجد كثيرا من المواطن التي حث الله عز وجا عباده فيها على التدبر والتفكر ومعرفة العبد ربه من العلم الضروري الذي يجب عليه معرفته كما هو مبين في غير ما كتاب .

(2) هذا القول من المؤلف رحمه الله خطيء ظاهر، وقول بائر وافق فيه المعتزلة الضلال.

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (78): ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك مع أن معرفة الصانع وحدها لا يصير بها الرجل مؤمناً اهـ، وهذا القول خلاف منهج السلف، فإن النبي ﷺ كان يرسل رسله للدعوة إلى الله ويدلهم إلى قوله، (وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) كما عند الشيخين عن معاذ، فلم يرد أنه دلهم على النظر ولا قصد النظر، فتنبه.

راجع «درء تعارض العقل والنقل» (8/ 6-10) و«الفصل» لابن حزم (4/ 67-78) ففيه كلام نفيس حول هذه المسألة.

(3)يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فأعظم نعمة هي =

وشكر المنعم واجب شرعاً[1]، وهو اعترافه بنعمته على جهة الخضوع والإذعان، وصرف كل نعمة في طاعته.

ويجب الجزم بأنه تعالى واحد أحدٌ، فرد[2] صمد، عالم بعلم[3]، قادر بقدرة، مريد بإرادة[4]، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام[5]، وبأنه

نعمة الإسلام ولا تتم هذه النعمة إلا بمعرفة الله عز وجل .

(1) لقوله تعالى: ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾.

(2)اسم الأحد والواحد والصمد ثابتة لله عز وجل قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ وقال: ﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾واسم الفرد ليس من الأسماء الحسنى لله عز وجل، وإن كان قد أثبته البيهقي، لكن لا يوجد حديث صحيح يدل عليه، ويغني عنه اسم الأحد.

(3) هذا هو الصواب خلاف منهج المعتزلة الذين يقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وهذا القول فاسد وظاهر الفساد فإنه لو قيل لأحدهم أنت عالم بلا علم لاعتبر ذلك مذمة فكيف يرضى هذا في حق الله عز وجل قال الله عزوجل ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾وقال : ﴿ والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقال : ﴿ والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأعلم أن كل اسم من أسماء الله عز وجل يتضمن صفة كمال كما تقدم في المباحث المتقدمة.

(4) الإرادة ثابتة لله عز وجل لقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه...﴾ وقوله: ﴿فعال لما يريد...﴾ وتنقسم إرادة الله عز وجل إلى إرادة كونية وشرعية، فالكونية تقدم دليلها، وهي واقعة لا محالة، وتكون فيما يحبه الله وما لا يحبه، وليس لها تعلق بالمشيئة، بينما الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله، وقد تقع و لها تعلق بمشيئة الله عز وجل، وقد لا تقع، لكن اسم المريد ليس من أسماء الله عز وجل الحسنى.

(5) كل هذه العبارات رد على المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله عز وجل مجردة عن الصفات.

قال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص18): وقاربتهم –أي الجهمية- طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة، ومن أتبعهم فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فأثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات اهـ. مع أن من عقيدة أهل السنة أن أسماء الله أعلام وأوصاف وكل اسم يتضمن صفة .

سبحانه ليس بجوهر[1]، ولا جسم، ولا عرض[2].

ولا تحله الحوادث، ولا يحل في حادث، ولا ينحصر فيه، فمن اعتقد أو قال: بأن الله تعالى بذاته في كل مكان، أو في مكان فكافر، بل يجب الجزم[3] بأنه

---

(1) استخدام هذه الألفاظ التي لم يرد بإثباتها أو نفيها دليل من الكتاب والسنة ليس من طريقة السلف الصالحين فتنبه لأن هذا الباب توقيفي. والجوهر: عبارة عن المتحيز، وهو ينقسم إلى الجوهر الفرد: وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزئ لا بالفعل ولا بالقوة، وإلى مركب وهو الجسم وهو المؤتلف من جوهرين فردين فصاعداً.

انظر: «المعجم الفلسفي» (ص64). المراد بقوله لا بالفعل حين فعله لذلك الأمر فزيد مثلا حين يتكلم متكلم بالفعل ساكت بالقوة وحين سكت ساكت بالفعل متكلم بالقوة .

(2) العرض: هو الذي لا يصح بقائه ويقوم بغيره، ويعرض للجواهر والأجسام والكلام في هذه العبارات محدث، راجع «المحجة» (1/ 99-100) وانظر: «الفتاوى» (6/ 90-91).

واعلم أن هذه الاصطلاحات حادثة ومجملة، فلا تُنفى مطلقاً، ولا تثبت مطلقاً، بل يتوقف في اللفظ، ويستفصل في المعنى فإن أريد به باطل، رد، وإن أريد به حق يثبت المعنى الحق، ويعبر عنه بالألفاظ الشرعية، «التدمرية» (ص65-66).

قال شيخ الإسلام: وما تنازع فيه المتأخرون نفياً وإثباتاً فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات اللفظ أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقاً ولم يُرد مطلقاً، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى اهـ.

(3) هذا رد على أصحاب وحدة الوجود والحلو والاتحاد، وهم أكفر من اليهود والنصارى كما نقل ذلك شيخ الإسلام في كتابه «الحموية» وقد أشار صاحب كتاب «معجم ألفاظ العقيدة» (ص150) إلى أن عقيدة الحلول لا ترتبط بفرقة أو طائفة معينة، بل هو معتقد طوائف عدة، وفرق كثيرة أولها النصارى الذين قالوا بحلول اللاهوت الذي هو الله في الناسوت الذي هو عيسى عليه السلام، ثم تبعهم الروافض الذين يقولون بحلول الذات الإلهية في علي بن أبي طالب وجاء بعدهم طوائف من المعتزلة والجهمية سلكوا مسلك الحلول الإلهي في من شاء من البشر والحلو نوعان:

حلول خاص، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول بأن اللاهوت حل في الناسوت كحلول الماء في الإناء، وهو قول الرافضة الذين يقولون حل الإله في علي.

والحلو العام: وهو القول الذي ذكره أهل السنة عن طائفة الجهمية الذين يقولون بأن الله بذاته في كل مكان اهـ. =

سبحانه بائن من خلقه، فالله تعالى كان ولا مكان[1]، ثم خلق المكان، وهو على ما عليه قبل خلق المكان[2].

وكل شيء سوى الله تعالى وصفاته حادث[3]، والله سبحانه وتعالى خلقه وأوجده وابتدأه من العدم، وجميع أفعال العباد كسب لهم[4]، وهي مخلوقة لله

والاتحادية أيضاً نوعان: وهم الذين يزعمون أن الله اتحد بمخلوقاته كاتحاد الماء باللبن، وهم نوعان: الأول أصحاب الاتحاد الخاص، وهم اليعقوبية من النصارى الذين زعموا أن الله اتحد بعيسى عليه السلام.

والثاني: الاتحاد العام وهم الذين يقولون ما في الكون إلا الله.

قال ابن القيم فيهم:

حاشا النصارى أن يكونوا مثلهم ... وهم الحمير وعابدو الصلبان

هم خصصوه بالمسيح وأمه ... وهؤلاء ما صانوه عن حيوان

راجع «مجموع الفتاوى» (2/ 80-142) و«شرح النونية» لابن عيسى (1/ 142). وأصحاب واحدة الوجود هم الذين يزعمون أن الوجود هو الله عز وجل

(1) ولا مكان وجودي بمعنى أنه مخلوق.

(2) سيأتي معتقده في العلو رحمه الله تعالى، ويظهر أنه لا يريد من هذه العبارة أن الله ليس مستوي على عرشه وهذه من الألفاظ التي يطلقها المبتدعة ويريدون بها نفي العلو ونفي الاستواء .

(3) أي مخلوق لقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾، فالله خالق وما سواه مخلوق.

قال السفاريني في منظومته:

وسائر الأشياء غير الذات ... وغير ما الأسماء والصفات

مخلوقة لربنا من العدم ... وضل من أثنى عليها بالقدم

وفي هذا رد على المعتزلة والجهمية الذين يزعمون أن صفات الله عز وجل مخلوقة. ومن زعم أن صفات الله مخلوقة فهو كافر بالله العظيم لأن أسماء الله عز وجل من كلامه وكلامه غير.

(4)خلافا للمعتزلة القدرية الذي يزعمون أن أفعال العباد خلق لهم مع أن الله يقول : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾وفي حديث حذيفة : « الله خالق كل صانع وصنعته » أخرجه البخاري في الأدب المفرد

قال السفاريني:

أفعالنا مخلوقة لله ... لكنها كسب لنا يا لاهي.

=

تعالى، خيرها وشرها، والعبد مختار ميسر في كسب الطاعة واكتساب المعصية[1].

ومشيئة الله تعالى وإرادته تعالى ليستا بمعنى محبته[2]، ورضاه وسخطه، وبغضه، فيحب ويرضى ما أمر به فقط[3]، وخلق كل

وأنا أقول لكنها فعل لنا يا لاهي

والكسب تطلقه القدرية على: وقوع الفعل بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاءه، وأوجده، وتطلقه الجبرية والأشاعرة ويعنون به قدرة غير مؤثرة.

وأما أهل السنة فيقولون: إن العبد فاعل لفعله وهو بمشيئة الله تعالى وإرادته قال الله: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ وقد فسر الجبرية الكسب بعدة تفسيرات منها: ما قاله السفاريني: الكسب في اصطلاح المتكلمين ما وقع من الفاعل مقارناً لقدرة محدثة واختيار.

قال ابن القيم في «شفاء العليل» (1/ 313): وكسب الجبرية لا معنى له ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه وضربوا له الأمثال وأطالوا فيه المقال اهـ.

وقال شيخ الإسلام في «شرح الأصفهانية»: فسروا الكسب بما قارن القدرة المحدثة في محلها، ومجرد المقارنة لا يميز القدرة عن غيرها، فإن الفعل قد يقارن العلم، والإرادة وغير ذلك اهـ من «لوامع الأنوار» (1/ 291-292).

(1) هذا رد على طائفتي المجبرة والقدرية.

قال الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[الصافات:96] وقال: ﴿الله خالق كل شيء﴾.

قال ابن كثير في «تفسيره» (4/ 13): يحتمل أن تكون (ما) مصدرية، فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم، ويحتمل: أن تكون بمعنى (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه، وكلا القولين متلازم والأول أظهر اهـ. قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ ومما يدل على قدرة العبد واستطاعته و إرادته قول الله عز وجل : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ وقوله :﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ خلافا للجبرية الذي يزعمون أن الإنسان كالريشة في مهب الريح

(2) المراد هنا الإرادة الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، وسبب ضلال طائفتي القدرية والجبرية أنهم جعلوا إرادة الله مستلزمة لمحبته، فقالت القدرية: هو لا يحب الكفر والمعاصي، فالنتيجة أنه لم يردها ولم يخلقها.

وقال الجبرية: هو لو لم يحب الكفر والمعاصي ما فعلها العباد، وقد تقدم التفصيل في هذا الباب.

(3) وهذه هي الإرادة الشرعية فقط، وقد تقع وقد لا تقع، وتجتمع مع الإرادة الكونية في حق المطيع =

شيء بمشيئته[1].

تتمة في حديّ **الكفر والإسلام**[2]: الإتيان بالشهادتين مع اعتقادهما[3]،

وتفترق في حق العاص.

(1) قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ وقال: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ ﴿وربك يفعل ما يشاء ويختار﴾، والمشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر الأربع التي لا يتم الإيمان بالقدر إلا بها وهذه المراتب هي العلم. قال تعالى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾، والكتابة، ﴿وعنده أم الكتاب﴾، وفي الحديث: «لما خلق الله القلم قال: اكتب، قال: وما أكتب، قال اكتب ما كان وما يكون إلى قيام الساعة» أخرجه مسلم (2653) عن عبد الله بن عمرو ، والثالثة: المشيئة. والرابعة: الخلق، قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾، وللتوسع في هذا الباب يراجع كتاب «شفاء العليل» لابن القيم و«القدر» للوادعي رحمهما الله تعالى.

(2) من تعاريفه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك، والبدع وأهلها، والإسلام والإيمان إذا اجتمعا دل كل منهما على معنى، فالإسلام على الأعمال الظاهرة والإيمان على الأعمال القلبية، وإذا افترقا اجتمعا ودل كل واحد منهما على الآخر يدل على هذا التفصيل حديث ابن عباس عند البخاري (53) ومسلم (17) حين سألوا رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تودوا الخمس من المغنم» وراجع لهذا التفصيل كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام. قال الراغب في مادة سلم «والإسلام في الشرع على ضربين أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ والثاني فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾

(3) وبهما يُدخل في الإسلام لحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...» الحديث جاء عن عمر متفق عليه، وأبي هريرة وجابر عند مسلم وعبد الله بن عمر متفق عليه.

وقوله: مع اعتقادها إخراج للمنافقين ورسول الله ﷺ يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله عبد بهما غير شاك إلا دخل الجنة». أخرجه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما

والتزام بقية الأركان الخمسة إذا تعينت[1]، وتصديق الرسول فيما جاء به[2].

والكفر[3]: جحد ما لا يتم الإسلام بدونه، ومن جحد ما لا يتم الإسلام

---

(1) أما الشهادة فمتعينة بما سبق بيانه.
وأما الصلاة فمتعينة إذا تحققت شروطها وانتفت موانعها كالحيض والإغماء والجنون وغيرها.
وأما الزكاة فتتعين إذا توافرت شروطها على أصنافها كبلوغ النصاب في بهيمة الأنعام والأموال والعروض وغيرها. وأما الصوم: فمتعين إذا دخل وقته وهو رمضان، وكذا القدرة عليه ولم يكن ثمَّ عذر أو مانع. وأما الحج: فمتعين بقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[آل عمران:97] على الحر، ويشترط فيها سبق التكليف، وهو البلوغ والعقل مع الشهادتين.
انظر: «الوجيز» لابن أبي السري (ص36، 69، 83، 90).

(2) وأركان الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم أربعة: تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. أما الدليل على الطاعة فقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾. وأما دليل ترك نواهيه: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾. وأما دليل التصديق: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ ولا يكون الاتباع إلا بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم. وأما دليل العبادة شرعته حديث عائشة رضي الله عنها: «من أحدث ي أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.

(3) الكفر من الكَفر وهو التغطية، ولهذا سمى المزارع كافر هذا في اللغة. قال أبو عبيد في غريب الحديث (3 / 13) « وأما الكافر فيقال – والله أعلم: إنما سمي كافرا لأنه متكفر به كالمتكفر بالسلاح، وهو الذي قد ألبسه السلاح حتى غطى كل شئ منه، وكذلك غطى الكفر قلب الكافر، ولهذا قيل لليل كافر، لأنه ألبس كل شئ قال لبيد يذكر الشمس: [الكامل] حتى إذا ألقت يدا في كافر * وأجن عورات الثغور ظلامها * وقال [أيضا –]: [الكامل] في ليلة كفر النجوم غمامها.
ويقال: الكافر سمي بذلك للجحود، كما يقال: كافرني فلان حقي – إذا جحده حقه اهـ والكفر شرعا ضد الإيمان قال شيخ الإسلام كما في المجموع (12 / 335) : « الكفر عدم الايمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسال» اهـ
وهذا التعريف منتقد فإن المكفرات منها القولية ومنها الفعلية ومنها الاعتقادية وقد انتقد العلماء هذا التعريف على الإمام الطحاوي وغيره

بدونه، أو جحد حكماً ظاهراً أجمع على تحريمه أو حِله إجماعاً قطعياً، أو ثبت جزماً كتحريم لحم الخنزير، أو حل خبز ونحوهما كفر. أو فعل كبيرة: وهي ما فيه حدٌ في الدنيا أو وعيد في الآخرة[1]، أو داوم على صغيرةٍ –وهي ما عدا

---

(1) هذا أحسن ضابط للكبيرة، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (351 – 352) « وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْكَبَائِرِ على أَقْوَالٍ :

فَقِيلَ : سَبْعَة .

وَقِيلَ : سَبْعَةَ عَشْرَ .

وَقِيلَ : مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ على تَحْرِيمِهِ .

وَقِيلَ : مَا يَسُدُّ بَابَ الْمَعْرِفَةِ بالله .

وَقِيلَ : ذَهَابُ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ " كَبَائِرَ " بِالنِّسْبَةِ وَالْإِضَافَةِ إلى مَا دُونَهَا .

وَقِيلَ : لَا تُعْلَمُ أَصْلًا .

أَوْ : أَنَّهَا أُخْفِيَتْ كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ .

وَقِيلَ : إِنَّهَا إلى السَّبْعِينَ أَقْرَبُ .

وَقِيلَ : كُلُّ مَا نَهَى الله عنه فَهُوَ كَبِيرَة .

وَقِيلَ : إِنَّهَا مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا حَدٌّ أَوْ تُوُعِّدَ عَلَيْهَا بِالنَّارِ ، أَوِ اللَّعْنَة ، أَوِ الْغَضَبِ ، وَهَذَا أَمْثَلُ الْأَقْوَالِ .

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَات السلف في تعريف الصغائر :

مِنْهُمْ مَنْ قَالَ : الصَّغِيرَة مَا دُونَ الْحَدَّيْنِ : حَدِّ الدُّنْيَا وَحَدِّ الْآخِرَة . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : كُلُّ ذَنْبٍ لَمْ يُخْتَمْ (1) بِلَعْنَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ نَارٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : الصَّغِيرَة مَا لَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَعِيدٌ فِي الْآخِرَة ، وَالْمُرَادُ بِالْوَعِيدِ : الْوَعِيدُ الْخَاصُّ بِالنَّارِ أَوِ اللَّعْنَةِ أَوِ الْغَضَبِ ، فَإِنَّ الْوَعِيدَ الْخَاصَّ فِي الْآخِرَة كَالْعُقُوبَةِ الْخَاصَّة فِي الدُّنْيَا ، أَعْنِي الْمُقَدرَة ، فَالتَّعْزِيرُ فِي الدُّنْيَا نَظِيرُ الْوَعِيدِ بِغَيْرِ النَّارِ أَوِ اللَّعْنَةِ أَوِ الْغَضَبِ . وَهَذَا الضَّابِطُ يَسْلَمُ مِنَ الْقَوَادِحِ الْوَارِدَة على غيره ، فإنه يَدْخُلُ فيه كُلُّ مَا ثَبَتَ بِالنَّصِّ أنه كَبِيرَة ، كَالشِّرْكِ ، وَالْقَتْلِ ، وَالزِّنَا ، وَالسِّحْرِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، كَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَأَكْلِ الرِّبَا ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ ، وَالْيَمِينِ الْغَمُوسِ ، وَشَهَادَة الزُّورِ ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ .

وَتَرْجِيحُ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ وُجُوه :

أَحَدُهَا : أنه هُوَ الْمَأْثُورُ عَنِ السَّلَفِ ، كَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ عُيَيْنَة ، وَابْنِ حَنْبَلٍ ، وَغَيْرِهِمْ . الثاني : أَنَّ =

ذلك – فُسق (1)(1).

الله تعالى قَالَ : { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا } (1) .
فَلَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْوَعْدَ الْكَرِيمَ مَنْ أُوعِدَ بِغَضَبِ الله وَلَعْنَتِه وَنَارِه ، وَكَذَلِكَ مَنِ اسْتَحَقَّ أَنْ يُقَامَ عليه الْحَدُّ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَاتُه مُكَفَّرَة عنه بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ .

الثَّالِثُ : أَنَّ هَذَا الضَّابِطَ مَرْجِعُه إِلَى مَا ذكره الله ورسوله مِنَ الذُّنُوبِ ، فَهُوَ حَدٌّ مُتَلَقًّى مِنْ خِطَابِ الشَّارِعِ .

الرَّابِعُ : أَنَّ هَذَا الضَّابِطَ يُمْكِنُ الْفَرْقُ به بَيْنَ الْكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ ، بِخِلَافِ تِلْكَ الْأَقْوَالِ . فَإِنَّ مَنْ قَالَ : سَبْعٌ ، أَوْ سَبْعَ عَشْرَ ، أَوْ إلى السَّبْعِينَ أَقْرَبُ – مُجَرَّدُ دَعْوَى . وَمَنْ قَالَ : مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ على تَحْرِيمِه دُونَ مَا اخْتَلَفَتْ فيه – يَقْتَضِي أَنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ ، وَالتَّزَوُّجَ بِبَعْضِ الْمَحَارِمِ ، وَالْمُحَرَّمَ بِالرَّضَاعَةِ وَالصِّهْرِيَّة ، وَنَحْوَ ذَلِكَ – لَيْسَ مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَأَنَّ الْحَبَّةَ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالسَّرِقَة لَهَا ، وَالْكِذْبَة الْوَاحِدَة الْخَفِيفَة ، وَنَحْوَ ذَلِكَ – مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَهَذَا فَاسِدٌ . وَمَنْ قَالَ : مَا سَدَّ بَابَ الْمَعْرِفَة بالله ، أَوْ ذَهَابَ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ – يَقْتَضِي أَنَّ شُرْبَ الْخَمْرِ ، وَأَكْلَ الْخِنْزِيرِ وَالْمَيْتَة وَالدَّمِ ، وَقَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ – لَيْسَ مِنَ الْكَبَائِرِ ! وَهَذَا فَاسِدٌ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا سُمِّيَتْ كَبَائِرَ بِالنِّسْبَة إلى مَا دُونَهَا ، أَوْ كُلُّ مَا نَهَى الله عنه فَهُوَ كَبِيرَة – يَقْتَضِي أَنَّ الذُّنُوبَ في نَفْسِهَا لَا تَنْقَسِمُ إلى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ ! وَهَذَا فَاسِدٌ ، لأنه خِلَافُ النُّصُوصِ الدَّالَّة على تَقْسِيمِ الذُّنُوبِ إلى صَغَائِرَ وَكَبَائِرَ . وَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا لَا تُعْلَمُ أَصْلًا ، أَوْ إِنَّهَا مُبْهَمَة – فَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِه أنه لَا يَعْلَمُهَا ، فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَلِمَهَا غيره . اهـ

(1) الفاسق: هو من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة قال الراغب في «مفردات القرآن » في مادة" فسق " : «فسق فلان خرج عن حجر الشرع وذلك من قولهم فسق الرطب إذا خرج عن قشره وهو أعم من الكفر.

والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير لكن تعورف

فيما كان كثيرا وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الاصلي فاسق فلانه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، قال (ففسق عن أمر ربه – ففسقوا فيها – وأكثرهم الفاسقون – وأولئك هم الفاسقون – أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا – ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) أي من يستر نعمة الله فقد خرج عن طاعته (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار – والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون – والله لا يهدى القوم الفاسقين – إن المنافقين هم الفاسقون – وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا – أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) فقابل به الايمان.

فالفاسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق»

والإيمان[2]: عقد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة

---

(1) هذا هو معتقد أهل السنة في هذه المسألة، وهو موافق للنصوص الواضحة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة ما لم يستحل. قال الله عز وجل: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ فسماهم مؤمنين مع ما هم فيه من الاقتتال، ولو كان مرتكب المعصية كافر لكان جزاءه القتل ردة، لكن قد وجدنا أن الله عز وجل جعل حد الزنا لغير المحصن الجلد، وكذا القذف وشرب الخمر وحد السارق القطع، فتنبه لهذا تسلم من زيع التكفيريين.

(2) الإيمان في اللغة:

مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن اهـ«تهذيب اللغة» (15/ 513).

وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية، وهو من الأمن ضد الخوف اهـ. «الصحاح» للجوهري (5/ 2071).

قال الراغب: [أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف] «المفردات» (ص35).

والإيمان في اللغة هو الإقرار.

قال شيخ الإسلام: «ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد»«الفتاوى» (7/ 638).

الفروق بين الإقرار والتصديق:

1- من جهة التعدي آمن لا يتعدى إلا بحرف إما الباء أو اللام كما في قوله تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ وقوله: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾، فيقال: آمن به وآمن له، ولا يقال: آمنه بخلاف لفظة صدق فإنه يصح تعديها بنفسها.

2-ليس بين الإيمان والتصديق ترادف في المعنى، فإن الإيمان يطلق على ما يؤتمن فيها المخبر مثل الأمور الغيبية بينما التصديق يطلق على الأشياء المحسوسة.

3- لفظة إيمان في اللغة لا تقابل بالتكذيب، فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال: كذبت، وإذا صدق يقال: صدقت، ويقال: صدقناه وكذبناه، ولا يقال لكل مخبر: أمناه أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له، أو مكذب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر.

يقال مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال للنبي ﷺ: أنا أعلم أنك صادق، لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك، وأخالفك، ولا أوافقك لكان كفره أعظم، فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط.

4-أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف، فآمن أي صار داخلاً في الأمن، فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قال أخوة =

يوسف: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف:17]، أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمنهم، أما التصديق فلا يتضمن شيئاً من ذلك راجع «الفتاوى» (7/ 290-293) و(5/ 529-534). اهـ.

وإن قالوا: إن التصديق مرادف للإيمان؟ فالجواب من وجهين:

إحداهما: (لمنع، بل الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «العينان تزنيان وزناهما النظر...» وفيه: «والفرج يصدق ذلك ويكذبه»، وكذا قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف.

وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل العمل من الإيمان والإيمان من العمل.

الثاني: إذا كان أصله التصديق فهو تصديق مخصوص كما أن الصلاة دعاء مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام إمساك مخصوص راجع «مجموع الفتاوى» (7/ 293-297).

لفظ الإقرار يكون على وجهين:

إحداهما: الإخبار، وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوها، وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء في كتاب الإقرار.

الثاني: إنشاء الالتزام كما في قوله: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:81]، وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد، فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:81]، فهذا الالتزام للإيمان والنصر للرسول صلى الله عليه وسلم اهـ«مجموع الفتاوى» (5/ 531).

الإيمان في الشرع:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان: قول باللسان وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وبعضهم يعبر عنه «بأنه قول وعمل».

وإلى هذا التعريف ذهب البخاري في «صحيحه» فقال في باب الإيمان: قول وعمل، وبوب صاحب «اللمعة» رحمه الله أيضاً به.

وقد نقل الحافظ اللالكائي عن مجموعة من السلف قولوهم بهذا القول، وإليك ذكر بعض أسمائهم:

قال اللالكائي رحمه الله في «شرح أصول أهل السنة» (5/ 907) قال: سهل بن المتوكل: أدركت =

ألف أستاذ أو أكثر كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقال يعقوب بن سفيان: أدركت أهل السنة والجماعة على ذلك.

وقال عبد الرزاق: سمعت سفيان الثوري وابن جريج ومالك بن أنس ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة يقولون: «إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».

وقال عبد الرزاق أيضاً: لقيت اثنين وستين شيخاً منهم: معمر، والأوزاعي والثوري والوليد بن محمد القرشي، ويزيد بن السائب، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة وشعيب بن حرب ووكيع بن الجراح ومالك بن أنس وابن أبي ليلى وإسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم ومن لم نسمه كلهم يقولون: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص».

والمراد بالقول والعمل ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «العقيدة الواسطية» (ص161) شرح الهراس.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح اهـ.

فمسمى الإيمان عند أهل السنة مرتكزّ على خمسة أمور:

قول القلب وهو تصديقه وإيقانه.

قول اللسان وهو النطق بالشهادتين.

عمل القلب وهو النية والإخلاص ولمحبة والانقياد، والتوكل وغيرها.

عمل اللسان وهو الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلام المعروف وقراءة القرآن ... إلى غير ذكل.

عمل الجوارح: وهو العمل الذي لا يؤدى إلا بواسطتها من ركوع وسجود ومشي إلى المساجد وسفر الحج والجهاد وغير ذلك.

وهذا هو تعريف أهل الحق والهدى يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون﴾[الأنفال:2] [هذه فيه عمل القلب].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون﴾[الأنفال:3].

وهذه جمعت بين عمل القلب واللسان والجوارح.

أما المرجئة ومن وافقهم: فقد ذهبوا في تعريف الإيمان إلى مذاهب بعيدة عن الحق، فقال بعضهم: هو الإقرار باللسان وتصديق بالجنان، وإلى هذا ذهب الطحاوي، ومنهم من يقول: إنه تصديق بالجنان فقط، والإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب الماتريدي، ويُروى عن أبي حنيفة. =

وينقص هو وثوابه بالعصيان، ويقوى بالعلم، ويضعف بالجهل والغفلة والنسيان[1].

وذهب الكرامية إلى: أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وذهب الجهمية ومن وافقهم إلى: أنه المعرفة بالقلب. وكل هذه الأقوال باطلة، ومخالفة لطريق أهل الرشد.

[وأبعدها عن الحق قول جهم، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما السلام ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[الإسراء:102]، وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل:14]، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم، بل إبليس يكون عند جهم مؤمناً كامل الإيمان، فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به ﴿قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الأعراف:14] ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، والكفر عند جهم: هو الجهل بالرب ولا أحد أجهل منه بربه] «شرح الطحاوية» (ص332).اهـ.

وعلى قول الكرامية: يدخل المنافقون في الإيمان مع نفاقهم .

وعلى قول مرجئة الفقهاء بأن الإيمان هو إقرار باللسان واعتقاد يكون الفسقة وقطاع الصلاة وغيرهم من أهل الإجرام كاملي الإيمان؛ لأنهم أقروا بألسنتهم بالإسلام والإيمان، واعتقدوا بقلوبهم. وأنـّى لهم هذا، ورحم الله ميمون بن مهران إذ يقول: عند أن رأى جارية تغني، فقال: الخيبة لمن يزعم أن إيمان هذه مثل إيمان مريم بنت عمران.

[وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح كما ذكر الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده وهو إما المعرفة كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر، اهـ] «الطحاوية شرح» (ص333).

وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو كاسد فاسد فتنبه و احذر من المزالق في الدين.

(1)هذا صواب فإن من أسباب زيادة الإيمان العلم والعمل قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ويضعف بالجهل لأن الجهل سبب لكل شر والعياذ بالله

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه هو قول أهل السنة قاطبة، وخالف في ذلك المرجئة والخوارج وكان =

ويجوز الاستثناء فيه[1].

وقال ابن عقيل[2]: ويسن، والمراد لا على الشك في الحال، بل في المآل أو في قبول بعض الأعمال ونحو ذلك.

هذا هو سبب ضلالهم.

وذهبت المرجئة: أن الأعمال خارجة من مسمى الإيمان، فعلى هذا لا تضر معصية، وللوقوف على مذهبهم، وبيان فسادها انظر للأهمية كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام

(1) هذا هو قول أهل السنة حتى قال بن مهدي: أصل الإرجاء ترك الاستثناء، والناس في مسألة الاستثناء ثلاث طوائف: منهم من أوجب الاستثناء. و الأشاعرة ومن إليهم

ومنهم من حرمه وهم المرجئة ومن إليهم.

وأهل السنة قالوا: يجوز الاستثناء وهو أفضل، وذلك للبعد عن التزكية، أو لعدم علمه بما يختم له أو من باب التبرك بذكر اسم الله عز وجل.

وأما إذا كان الاستثناء على الشك فهو محرم.

قال الشيخ العثيمين في «فتح رب البرية» (ص102): فإن كان الاستثناء صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان، فهذا محرم بل كفر؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه، وإن كان صادراً عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً، فهذا واجب خوفاً من هذا المحذور، وإن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل، وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله فهذا جائز... وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء، بل لا بد من التفضيل السابق اهـ.

ومن أراد النظر في الآثار وأقوال السلف فليرجع إلى «الإيمان» للقاسم بن سلام و«الإيمان» لابن أبي شيبة ففيهما خير و«الشريعة» للآجري و«السنة» للخلال و«السنة» لعبد الله بن أحمد.

(2) ابن عقيل هو الحنبلي ترجمته في السير (19 / 442) توفي سنة (513 هـ)

الفصل الأول

في مسألة العلو(1)

---

(1) [illegible]

قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وقال: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ وقال □ كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي رغبت غضبي».

ولا يقال: إن الآيتين يثبت بهما فوقية القدر فقط، بل يثبت له سبحانه فوقية القدر والقهر والعلو وفوقية القدر والقهر متفق عليهما بين الأمة وإنما نازع المبتدعة في فوقية الذات.

قال شيخ الإسلام في الفتوى الحموية في نقله عن الأشعري وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أنه استولى وقهر وملك وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ؛ لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء – وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها – لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار ؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها . وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل .اهـ

وتارة يأتي بلفظ العلو قال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وقوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ وجاء من حديث حذيفة عند مسلم: أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى».

وتارة يأتي بلفظ الاستواء قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ في عدة سور من القرآن، وقال: ﴿ثم استوى على العرش﴾. =

وتارة يأتي بلفظ في السماء قال الله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء..﴾ الآيتين، أي على السماء فإن أحرف الجر تتناوب، قال تعالى عن فرعون: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على جذوع النخل، وقال تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها...﴾ والمراد بفي في إجماع العقلاء على إذا لا يعقل أن يمشي في باطن الأرض.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي سعيد عند البخاري ومسلم: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء».

وجاء من حديث معاوية بن الحكم عند الإمام مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: اعتقها، فإنها مؤمنة».

وتارة يأتي بلفظ نزول الأشياء من عنده: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق...﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر...» الحديث، أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وجاء عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم. والنزول إنما يكون من الأعلى والصعود من أسفل إلى أعلى

وتارة يأتي بلفظ صعود الأشياء إليه قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾.

وتارة يأتي بلفظ العروج كقوله: «تعرج الملائكة والروح إليه» والعروج يكون صعوداً من الأسفل إلى الأعلى.

ومن أصرح الأدلة أيضاً على ذلك حديث المعراج، وأن النبي صلى الله عليه وسلم عرج به حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، أخرجه الشيخان في حديث أبي حبة الأنصاري وابن عباس رضي الله عنهم. وحديث أنس رضي الله عنه

وتارة يأتي بلفظ الرفع إليه قال تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾.

وتارة يأتي بالإشارة إلى السماء، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة وكان يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الأرض ويقول: «اللهم أشهد».

وهذا التنوع يدل على أن صفة العلو ثابتة لله تعالى، أما الأدلة على علوه فكثيرة جداً، وإنما ذكرنا بعضها فائدة للمستبصر وحجة على المتكبر.

وقد أجمع السلف رضوان الله عليهم قاطبة على علو الله سبحانه وتعالى بذاته، وأنه مستوي على عرشه، بائن من خلقه، تعالى الله عن قول الحلولية علواً كبيراً.

والفطرة السليمة تدل على أن الله في السماء، فلا يصيب الإنسان خطب من الخطوب إلا وتعلق قلبه بالسماء. [فقد جاء عن أبي جعفر الهمذاني: أنه حضر مجلساً لأبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو وهو يقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل، قال: وبكى وقال: حيرني الهمذاني حيرني الهمذاني، أراد الشيخ أن هذا أمرٌ فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو] اهـ من «شرح الطحاوية».

قال ابن القيم رحمه الله:

وإليه أيدي السائلين توجهت ... نحو العلو بفطرة الرحمن

وإليه آمال العباد توجهت ... نحو العلو بلا تواصٍ ثاني

بل فطرة الله التي لم يفطروا ... إلا عليها الخلق والثقلان

ونظير هذا أنهم فطروا على ... إقرارهم لا شك بالديان

لكن أولوا التعطيل منهم أصبحوا ... مرضى بداء الجهل والخذلان

وقال في موضع آخر:

وعلوه فوق الخليقة كلها ... فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديلها ... أبداً وذلك سنة الرحمن

كل إذا ما نابه أمرٌ يُرى ... متوجهاً بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفهُ ... وأمامه أو جانب الإنسان

قال ابن القيم في «الصواعق» (/ 1281): وجميع الطوائف تنكر قول المعطلة؛ إلا من تلقاه منهم، وأما العامة من جميع الأمم ففطرهم جميعهم مقرة بأن الله فوق العالم اهـ.

ومع أن العلو ثابت بالكتاب والسنة حتى و لو لم تدل عليه العقول لوجب الإيمان بما أخبر الله تعالى به و انتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالعلو ثابت بدلالة السمع الذي لا يأتيه الباطل من بين =

يديه ولا من خلفه ومع ذلك قد دل العقل على هذه الصفة من عدة وجوه:
الوجه الأول: أنه ليس ثم إلا علو أو سفل، والعلو صفة كمال، والسفل صفة نقص، والله جل وعز متنزه عن النقائص. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وله المثل الأعلى في السماوات والأرض﴾ ومعلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله لا تحيطه المخلوقات ولا تحويه جل وعز، وقد تقدم أنه متنزه عن السفل، فثبت أنه في العلو جل وعز، ولكن المعطلة قومٌ بهت لا يعقلون حديثاً، مسخت فطرهم وتبلدت أذهانهم، فلا يعرفون إلا ما أشرب من هواهم، فنعوذ بالله من الخذلان.
وزاد ابن أبي العز رحمه الله في «شرح الطحاوية» (ص325): الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل:
أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–.
والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة؛ لأن القول أنه غير متصل بالعالم وغير منفصل غير معقول.
الثالث: أن كون الله لا داخل العالم ولا خارجه ينفي وجوده بالكلية،اهـ
وكما هي عادة أهل الزيغ والريب أنهم يتمسكون بالطحلب ويظنونه حبلاً، فقد ذهب بعضهم إلى أن المراد بالفوقية أنه خير من عباده وأفضل، وأنه خير من العرش وأفضل منه، وما أسمج وأسخف أصحاب هذا القول الذين يتنقصون به الله تعالى وتقدس عن النقائص وهم لا يشعرون.
قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص323): فإن قول القائل: ابتداء الله خير من عباده، وخير من عرشه هو من جنس قول القائل: الثلج بارد والشمس حارة، والشمس أضوء من السراج، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه، فكيف بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل في ذلك تنقص كما قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا ... قيل إن السيف أمضى من العصا

ولو قال قائل: الذهب فوق قشر البصل، وقشر السمك لضحك منه العقلاء للتفاوت الذي بينهما، فإن التفاوت بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مبطل كما في قول يوسف: ﴿أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن إثبات الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر وفوقية الذات، من أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص وعلوه سبحانه مطلق من كل الوجوه اهـ. =

وقال الإمام ابن القيم في «الكافية» في رده على من قال: إن الفوقية فوقية القدر والقهر:

والفوق وصف ثابت بالذات من ... كل الوجوه لفاطر الأكوان
لكن نفاة الفوق ما وافوا به ... جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعـ ... ـلى لا بفوق الذات للرحمن
قالوا وهذا مثل قول الناس في ... ذهب يرى من خالص العقيان
هو فوق جنس الفضة البيضاء لا ... بالذات بل في مقتضى الأثمان
والفوق أنواع ثلاث كلها ... لله ثابتة بلا نكران
هذا الذي قالوا وفوق القهر والـ ... ـفوقية العليا على الأكوان

وأما الأدلة التي فيها ذكر استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه فقد صرفها أهل التعطيل عن ظاهرها بدون مسوغ ولا دليل من الكتاب أو السنة، أو قول صاحب أو تابع ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[النجم:23]، فقالوا: هي بمعنى استولى وعمدتهم في ذلك قول قاله الأخطل النصراني:

قد استوى بشر على العراق – من غير سيف أو دم مهراق

وقد أحسن شيخ الإسلام إذ يقول:

[قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه ... وإذا استدل بقول قل الأخطل]

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

ودليلهم في ذاك قول قاله ... فيما يُقال الأخطل النصراني

وهم والله شابهوا اليهود حين قيل لهم: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة، فدخلوا الباب يزحفون على أستاهم وقالوا: حبة في شعيرة.

وقد قال ابن القيم في ذلك:

نون اليهود ولام جهمي ... هما في وحي دين الله زائدتان

وهم يردون خبر الآحاد ويقبلون خبر هذا الواحد الكافر.

= وإن سلمنا أنه مسلم فهو من الشعراء المولّدين الذين لا يحتج بشعرهم في اللغة.

وكذلك رجل قد تعكرت عقيدته بالمعتقدات السابقة، فلم يتخلص منها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وقد رد ابن القيم هذه الشبهة السقيمة العليلة التي هي أوهى من خيط العنكبوت كما في «مختصر الصواعق» (2/ 126) بوجوه كثيرة نورد بعضها باختصار:

الأول: أن لفظ الاستواء في لغة العرب التي خاطبنا الله بلغتهم، وأنزل بها كلامه، نوعان: مطلق ومقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ وهذا معناه كمل وتم، وأما المقيد فثلاثة أضراب:

أحدها: مقيد بـ(إلى) كقوله تعالى: ﴿استوى إلى السماء﴾ وهذا مذكور في موضعين من كتاب الله في سورة البقرة وسورةفصلت، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف كما سنذكره.

قال العثيمين [فيكون المعنى قصد إليه علواً وارتفاعاً].

الثاني: المقيد بـ(على) كقوله ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ ﴿اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ وقوله: ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية.

وقال رحمه الله: الوجه الثالث: أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك –أي استوى بمعنى استولى– أنكروه غاية الإنكار ولم يجعلوه من لغة العرب.

قال ابن العربي: عند أن سئل: هل استوى بمعنى استولى لا تعرف العرب ذلك، وهذا من أكابر أئمة اللغة.

الوجه الرابع: [نقل قول الخطابي رحمه الله]: لو كان الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة؛ لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء، فما معنى تخصيص العرش بالذكر، ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه، فأي منع كان هناك، حتى يوصف بالاستيلاء.اهـ

قال ابن القيم في نونيته:

أُمِرَ اليهود أن يقولوا حطة ... فأبوا وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له: استوى ... فأبى وزاد الحرف للنقصان

قال استوى استولى وذا من جهله ... لغة وعقلاً ما هما سيان

=

فنقول وبالله التوفيق:

(مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه،

نــون اليهــود ولام جهمــي همــا   في وحــي رب العــرش زائــدتان

وكـذلك الجهمــي عطـل وصـفه   ويهــود قــد وصــفوه بالنقــصان

فهــما إذاً في نفــيهم لــصفاته الــ   ـــعُليا كـــما بينتــه أخـــوان

وهذا الذي ذكرنا قليل من كثير، وغيض من فيض، يسترشد بـه المستبـصر، ويعمـى عنـه المعـرض المتكبر.

نسأل الله العون والسداد والتوفيق والرشاد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب.

وقد اعترض أهل الضلال والريب على الدليل الفطري وأن القلوب مفطورة على التعلـق بـالعلو أن السماء قبله الدعاء

والرد عليهم من وجوه:

الأول: لو كانت السماء قبلة الدعاء للزم التوجه إليها عند الدعاء، وهذا لم يرد عـن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابه الكرام ولا التابعين لهم بإحسان، بل ورد أنه صلى الله عليـه وسـلم كان يستقبل القبلة في كثير من دعاءه كما في حديث عبـد الله بـن زيـد المتفـق عليـه أنـه خـرج يستسقي فاستقبل القبلة يدعو، وكما في حديث جابر عند مسلم في وصف حجة الـوداع وأنـه استقبل القبلة يدعو طويلاً في كل وقوف على الصفا والمروة، ولما كان في عرفة استقبل القبلة يـدعو.. الحديث بطوله، إلى غير ذلك من الأدلة.

الثاني: أنه قد ورد النهي عن استقبال السماء ورفع البصر إليها عند الـدعاء قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: «لينتهين أقوام عن رفعهـم أبـصارهم عنـد الـدعاء في الـصلاة أو لا ترجـع إلـيهم...» الحديث أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة وجاء من حديث أبي هريرة بمعناه.

الثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في الدعاء في السجود وحـال الـساجد مـستدبراً للسماء كما هو معلوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حـديث ابـن عبـاس : «وأمـا السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم» أخرجه مسلم رحمه الله.

الرابع: قولهم: إن السماء قبلة الدعاء قول محدث لم يقله أحد من السلف إلى غـير ذلـك مـن الأوجـه التي ذكرها أهل العلم.

وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل[1]،، فيثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[الشورى:11])[2].

---

(1) التكييف: جعل الشيء على حقيقة معينة من غير تقيدها بمماثل، وهو عبارة عن حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله كذا، أو نزوله إلى السماء، كذا وكذا.
والمثيل في اللغة: الند والنظير، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق.
والفرق بين التمثيل والتكييف: أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل، فكل تمثيل تكيف وليس كل تكيف تمثيل.
انظر: «فتح رب البرية» (ص16) و«شرح لمعة الاعتقاد» (ص12) كلاهما للشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(2) هذه قاعدة مهمة في هذا الباب تناقلها الخلف عن السلف وهي قاعدة جامعة مانعة في بابها فيها الرد على طائفة المعطلة والممثلة، فقوله: من غير تحريف ولا تعطيل رد على المعطلة، وقول ومن غير تكيف ولا تمثيل، رد على الممثلة، فأهل السنة في هذا الباب وغيره وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين.
وأما التحريف فهو: التغيير والتبديل، وينقسم إلى قسمين: تحريف لفظي، وتحريف: معنوي، وفي الغالب أن كل تحريف لفظي معنوي كقولهم: وكلم اللهَ بفتح الهاء في الجلالة، فيكون الله عز وجل هو المُكلَم لا المُكلِّم، فهذا تحريف لفظي معنوي.
وأما التحريف المعنوي: كتفسيرهم استوى، بمعنى استولى، والتعطيل في اللغة، هو التفريغ، قال تعالى: ﴿وبئر معطلة﴾ أي مفرغة.
وفي الاصطلاح: تعطيل الله عز وجل عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله، والمعطلة قسمان أصحاب تعطيل كلي، وهم الجهمية، ومن زاد عليهم من الفلاسفة يعطلون الله عز وجل من أسمائه وصفاته، وأصحاب تعطيل جزئي كالمعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة أثبتوا الأسماء ونفوا ما تضمنته من الصفات، والأشاعرة أثبتوا الأسماء وبعض الصفات التي يزعمون أن العقل قد دل عليها، وهي المجموعة في قول القائل:

حي سميع قادر علام   له السمع والبصر والكلام

فقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ردٌ على المُمَثِّلَةِ، وقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ رد على المعطلة(1).

قال بعض العلماء: (المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً)(2).

وهو سبحانه قد قال في كتابه: ﴿ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾(3)[الملك:16].

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»، وهذا الحديث رواه مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ومسلم في «صحيحه»

---

(1) وهذه الآية عمدة في هذا الباب، فيها ردٌ على طائفتين، وفيها الطريق الواضح الجلي في هذا الباب الذي يسلكه أهل السنة: في الاعتقاد والرد على المعطلين والممثلين وقد ضل المعطلة، حيث استدلوا بأولها ليس كمثله شيء، والممثلة استدلوا بآخرها، وتركوا أولها، فضل كلاهما بينهما أهل السنة جعلوها عمدة لهم وعلموا أن الله عز وجل يثبت له ما أثبته لنفسه بعيداً عن التمثيل والتكيف، والله أعلم.

(2) لأن المعطل يزعم بأن ربه لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، بل غاليتهم يقولون: لا موجو ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا فوق ولا تحت، وهذا الوصف إنما يوصف به المعدوم، والممثل عكسه يزعم أن صفات الله الرب كصفات المخلوقين المربوبين، فصار عندهم مثل الصنم وليس المتصف بالكمال المقدس من كل وجه. وانظر شرح النونية (120) .

(3) قوله: في السماء، أي في العلو، فإن السماء تأتي بمعنى العلو، فلا يظن بأن السماء ظرف له، فهذا باطل، قال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ وقال: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾، وأما أن تكون في هنا بمعنى على. قال الله: ﴿فامشوا في مناكبها﴾ أي على منكبها، وقال مخبراً عن فرعون: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ أي على جذوع النخل، والله أعلم.

وغيرهم[1].

لكن ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء، وأن السماوات تحصره وتحويه، فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته على عرشه[2] بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته[3].

---

(1)أخرجه مسلم رقم (573) ومالك في الموطأ كتاب العتق باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة (595) ط دار الحديث وللحديث طرق وشواهد كثيرة انظر في التمهيد (12 / 205) وما بعده في هذا الحديث الرد على من يزعم أن الله لا يُسأل عنه بالأين وهذا يوجد في عقائد المخالفين البطالين من الأشاعرة والرافضة والصوفية والجهمية والمعتزلة، ويزيدون على ذلك يقولون ولا يُشار إليه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع: «اللهم اشهد» يرفع أصبعه السبابة إلى السماء وينكتها إلى الأرض أخرجه مسلم (1218) عن جابر ، وهذه الإشارة في وجود أكثر من مائة ألف صحابي، لا يستنكرون من ذلك شيئاً، ثم يأتي الجهلة بعد ذلك يتشدقون بما ليس لهم به علم.

(2) العرش في اللغة: السَّرير الخاص بالملك، وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله أنه عظيم، وأنه كريم وبأنه مجيد. ويفسره أهل الباطل بالملك، وهذا باطل، فقد بين النبي أنه له قوائم، وبين النبي أن له ظل إلى غير ذلك من الصفات. وزد على ذلك أن لازم هذا أن الله مستوي على جميع المخلوقات على الحشوش والخلوات تعالى الله عن قول المبطلين علوا كبيرا .

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الفتوح الحموية» (ص105): ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد.

ولو سُئل سائر المسلمين: هل يفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء. أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التّكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن الله في السماء، وهو على العرش ، إذ السماء إنما يراد به العلوم، فالمعنى أن الله في العلو لا في السُّفل. وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض، =

وقد قال مالك بن أنس: إن الله في السماء وعلمه في كل مكان[1].

وقالوا لعبد الله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه[2].

وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا وهذا[3]، وقال الأوزاعي: كُنا والتابعون متوافرون نقرُّ بأن الله فوق عرشه، بما وردت به السنة من صفاته[4].

فمن اعتقد أن الله في جوف السماء أو محصور محاط به، أو أنه مفتقر إلى العرش أو غير العرش من المخلوقات، أو أن استواءه على عرشه كاستواء

وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه؟!! وقد قال سبحانه: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾[طه:71] وقال: ﴿فسيروا في الأرض﴾[آل عمران:137] بمعنى (على) ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً. وهذا يعلم من عرف حقائق معاني الحروف وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة اهـ. والقول بأن الله حال في شيء من مخلوقاته يؤدي إلى الحلول –والعياذ بالله– وقد تقدم الكلام عليه.

(1) أخرجه أبو داود في مسائله عن أحمد (ص263) وعبد الله بن أحمد في السنة (1/ 106-107) ومن طريقه ابن مندة في التوحيد رقم (893) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة رقم (673) والآجري في الشريعة رقم (652-653) وابن عبد البر في التمهيد (7/ 138).

(2) أخرجه بنحوه عبد الله بن أحمد في السنة (1/ 111) رقم (22، 598) وأخرجه ابن مندة في التوحيد رقم (899) وابن بطة في الإبانة (112) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (28) والبيهقي في الأسماء والصفات (92).

(3) أخرجه ابن بطة في الإبانة (115) وذكره اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة رقم (674) والأثر في العلو للذهبي (438).

(4) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (865) وأخرجه الذهبي في السير (7/ 120-121) وفي تذكرة الحفاظ (1/ 13) وذكره في العلوم (334) وسنده عند البيهقي صحيح. قال شيخ الإسلام في الحموية (299): روى البيهقي بإسناد صحيح عن الأوزاعي ثم ذكر الأثر.

المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع جاهل[1] .

---

(1) بل من زعم أن الله محصورٌ محاط به وأنه مفتقر إلى العرش فهذا كفر –والعياذ بالله– أليس الله يقول: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ ويقول: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾.

قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص280-281): « أما قوله:"وهو مستغن عن العرش وما دونه". فقال تعالى: {إِنَّ اللهَّ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} ، وقال تعالى: {وَاللهُّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}. وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه للعرش [واستواءه] عليه، ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوقا للسافل، لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالي، محيطا به، [حاملا له، [و] لا أن يكون الأعلى مفتقرا إليه. فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له. وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو، أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل، لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل. والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} كيف استوى ؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله:"محيط بكل شيء وفوقه"، وفي بعض النسخ"محيط بكل شيء فوقه"[بحذف الواو] من قوله"فوقه"، والنسخة الأولى هي الصحيحة. ومعناها أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء.

ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذه – والله أعلم – إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهوا، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصدا للفساد، وإنكارا لصفة الفوقية ! وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله"محيط"– بمعنى: محيط بكل شيء فوق العرش ، – والحالة هذه –: معنى ! إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحاط به، فتعين ثبوت الواو، ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطا بكل شيء، فقال تعالى: {وَاللهُّ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} ، {أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} ، {وَللهِّ مَا =

ومن اعتقد أنه ليس فوق السماوات إله يعبد، ولا على العرش رب يُصلى له ويُسجد، وأن محمداً لم يُعرج به إلى ربه[1]، ولا نزل القرآن من عنده[2] فهو معطل فرعوني ضال مبتدع ، فإن فرعون كذَّب موسى في أن ربه فوق السماوات، وقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:36، 37].

ومحمداً صلى الله عليه وسلم صدَّق موسى في أن ربه فوق السماوات، فلما كان ليلة المعراج، وعُرج به إلى الله تعالى، وفرض عليهِ ربُّهُ خمسين صلاة، ذكر أنه رجع إلى موسى، وأن موسى قال له: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا}. وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقوله أيضاً: أو أن استواءه على كرسيه كاستواء المخلوق على كرسيه هذا كفر، وتشبيه وتعطيل، وقد قال نعيم بن حماد الخزاعي: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تعطيل ولا تمثيل. وكونه ضالا لأنه قال غير الحق واعتقد غير الحق والبدعة هنا بدعة مكفرة لأن لازم ذلك أن يكون الله محتاجا إلى شيء من مخلوقاته مع أن الله يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وكونه جاهلا بعظمة الله وحقه قال الله عز و جل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(1) أقول: أدلة المعراج مخرجة في الصحيحين وغيرهما عن أنس أخرجه البخاري (357) ومسلم (162)، وأبي ذر أخرجه البخاري (349) ومسلم (163) ومالك بن صعصعة البخاري (3207) ومسلم (164)، وهي من أقوى الأدلة على علو الله جل وعز، وتردد النبي ﷺ بين موسى وبين ربه يدل على ذلك، ولو كان الله في كل مكان كما يزعمون بذاته لما كان في العروج مزية ولا شرف، والعروج هو الصعود من أسفل إلى أعلى.

(2) مع أن الله يقول: ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ والنزول يكون من الأعلى إلى الأسفل.

لأمتك، فإن أمتك لا تطيق...» الحديث، فرجع إلى ربه فخفف عنه عشراً، ثم رجع إلى موسى فأخبره بذلك، فقال: «ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك»، وهذا الحديث في الصحاح.

فمن وافق فرعون وخالف موسى ومحمداً فهو ضال، ومن مثل الله بخلقه فهو ضال[1].

قال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهاً[2]. والله تعالى

---

(1)هذه العبارة مذكورة في فتاوى شيخ الإسلام (5/ 258-259). وبيانه أن الله عز وجل يخبر عن فرعون بقوله : ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾فموسى ومحمد عليهما السلام أخبرا أن الله في السماء على عرشه وفرعون أنكر ذلك .

(2) أخرجه الذهبي في العلو رقم (429) وابن عساكر في تاريخه (17/ 612) وذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (936) والأثر يتناقله العلماء لشهرته وكونه دامغاً للمنحرفين في باب الأسماء والصفات. وهذا التكفير عند الإطلاق أما التعيين فلا بد من انتفاء الموانع وتوفر الشروط في الشخص المعين

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (12 / 487) : «ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وان تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين اطلقوا هذه العمومات لم يكفروا اكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه » . اهـ

وقال : (7 / 619) « والتحقيق فى هذا أن القول قد يكون كفرا كمقالات الجهمية الذين قالوا إن الله لا يتكلم ولا يرى فى الآخرة ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر فيطلق القول بتكفير القائل كما قال السلف من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة كما تقدم كمن جحد وجوب الصلاة والزكاة واستحل الخمر والزنا وتأول فإن ظهور تلك الأحكام بين المسلمين أعظم من ظهور هذه فإذا كان المتأول المخطئ فى تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له وإستتابته كما فعل الصحابة فى الطائفة الذين =

قد فطرَ العبادَ عربهم وعجمهم على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلوِّ لا يقصدونه تحت أرجلهم، ولهذا قال بعض العارفين: ما قال عارفٌ قط: يا الله إلا وجد في قلبه قَبْلَ أن يتحرك لسانه معنىً يطلب العلو ولا يلتفت يمنةً ولا يسرة[1].

الذات والصفات

والكلام في هذا المقام وشبهه يتبين بذكر أصل أصيل: وهو أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، فكما أنّا نثبت له تعالى ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذا نقول في صفاته إنها لا تشبه الصفات، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحدٍ، ولا كاستوائه استواء أحدٍ، ولا كسمعه وبصره سمع ، ولا بصر ولا كتكليمه تكليم أحدٍ، ولا كتجليه تجلّي أحدٍ[2]،[3].

إستحلوا الخمر ففي غير ذلك أولى وأحرى » اهـ

(1) الخبر ذكره الذهبي في العلو (538) وانظره في طبقات السبكي (5/ 190) وهو مذكور في شرح الطحاوية لابن أبي العز (390).

(2) يشير رحمه الله إلى حديث أنس بن مالك عند أحمد (3/ 125) وغيره، بل وقبل ذلك قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾

(3) هذه القاعدة موجودة في «التدمرية» (ص43): قال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص43): «فالقول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات» اهـ. فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات سائر الذوات، وهذه القاعدة رد على المعطلة والممثلة من جهة أن المعطل يثبت ذات تليق بجلاله ويزعم أن في الصفات تمثيل، فحين يقول له ذات ليست كالذوات قل له وله صفات ليست =

والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أن في الجنة لحماً ولبناً وعسلاً وماءوسندساً وحريراً وذهباً، وقد قال ابن عباس: ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء[1].

فإذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه المخلوقات المشاهدة مع اتفاقها في الأسماء، فالخالق أعظم عُلواً ومباينة لخلقه عن مباينة المخلُوقِ للمخلوقِ وإن اتفقت الأسماء[2].

والأصل في هذا الباب: أن كل ما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله، وجب التصديق به مثل علوِّ الربِّ، (واستوائه على عرشه)[3] ونحو ذلك، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه[4]، وكذلك

كالصفات.

(1) أخرجه ابن جرير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وأتوا به متشابها﴾ من ثلاث طرق عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس به.

(2) لأن تباين الذوات يلزم منه تباين الصفات

(3) الاستواء جاء في القرآن معدى بنفسه وبغيره: أما المعدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ وهذا المراد به الكمال، ومنهم قولهم: استوى الزرع، وجاء معدى بغيره تارة بإلى وتارة بعلى وتارة بالواو، فالمعدى بالواو المراد به المعية كقولهم: استوى الماء والخشبة. والمعدى بعلى تدل على العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، وقد نقل ابن القيم الإجماع على هذا المعنى كما في «مختصر الصواعق». وكذا المعدى بإلى وفسرها بعض أهل العلم بالقصد ومع ذلك قصده لخلق السماوات والأرض لا تعارض مع علوه

(4) علينا أن نتعامل مع أدلة الصفات وغيرها بما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[آل عمران:7].

قال الحافظ في «الفتح» (13/ 407): وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري، عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسُّكوت عنه اهـ. =

ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. وأما ما تنازع فيه المتأخرون من الألفاظ المبتدعة في النفي والإثبات مثل قول القائل: هو في جهةٍ، أو ليس في جهةٍ، وهو متحيز أو ليس بمتحيزٍ، ونحو ذلك من الألفاظ التي تنازع فيها الناس، وليس فيها نص لا عن الرسول ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم أن الله في جهةٍ، ولا قال: ليس هو في جهةٍ، ولا قال هو متحيز ولا ليس بمتحيز، بل ولا قال: هو جسم أو جوهرٌ، ولا قال: ليس بجسم ولا جوهر، فليس على أحدٍ، بل ولا له أن يوافق أحداً في إثبات لفظٍ من هذه الألفاظ، أو على نفيه حتى يُعرف مُراده، فإن أراد حقاً قُبل، وإن أراد باطلاً رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبَلْ مطلقاً، ولم يرد جميع معناه، بل يُوقِّفِ اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيُّز وغيرهما، فلفظ الجهة قد يُراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السماوات، وقد يراد بها ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أُريد بالجهة ما فوق العالم، فمن أراد إثبات الجهة الوجودية وجعل

قال الشيخ العثيمين في «تقريب التدمرية» (ص46): لكن ليعلم أنه ليس في كلام الله ورسوله شيء لا يعرف معناه جميع الأمة، بل لا بد أن يكون معروفاً لجميع الأمة أو بعضها؛ لقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون﴾[النحل:44] وقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[النحل:89]، ولأنه لو كان فيه ما لا يعلم معناه أحد لكان بعض الشريعة مجهولاً للأمة، ولكن المعرفة والخفاء أمران نسبيان، فقد يكون معروفاً لشخص ما كان خفياً على غيره، إما لنقص في علمه، أو قصور في فهمه أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده اهـ. هذا وليُعلم أن آيات الصفات من المحكم وليست من المتشابه، وقد بينت ذلك في رسالتي المسماة «مسألة في حكم تحديث العوام بآيات وأحاديث الصفات». ولا يفهم من كلام المؤلف أنه أراد مذهب التفويض الذي هو من شر أقوال أهل البدع وإنما على من لم يعلم أن يسأل ويتعلم يقول الله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

الله منحصراً في المخلوقات فهذا باطل، ومن أراد إثبات الجهة العدمية وأراد أن الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئاً من المخلوقات حصره، ولا أحاط به، ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها.

وكذلك لفظ التحيُّز إن أراد أن الله تَحُوْزُهُ المخلوقات، فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات؛ أي: مباين لها منفصلاً عنها ليس حالاً فيها، فهو سبحانه –كما قال أئمة أهل السنة– : (فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه)[1].

---

(1)هذه القاعدة مهمة جدا لتحديد الألفاظ المستخدمة في هذا الباب باب الأسماء والصفات لأن الكلام في هذا الباب كما هو معلوم توقيفي ويكون التعامل مع الألفاظ في هذا الباب على التالي :
ما أثبته القرآن والسنة أثبتناه
ما نفاه القرآن والسنة نفيناه
ما لم يثبته الكتاب والسنة ومالم ينفه نتوقف في اللفظ فلا يثبت ولا ينفى لأن النفي والإثبات في هذا الباب متوقف على الدليل و نستفصل في المعنى إن كان حقا اثبت المعنى مع استخدام الألفاظ الشرعية ولا حاجة لمثل هذه الألفاظ وإن كان باطلا ونزه الله عز وجل عنه ولهذه القاعدة راجع «التدمرية» (ص65-68) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهذه اللفظة بائن من خلقه تواردعليها السلف متقدمهم ومتأخرهم رداً على الحلولية والاتحادية الذين يزعمون أن الله عز وجل حالاً أو متحداً في شيء من مخلوقاته، بل هو سبحانه منفصل عنهم، ومن زعم أن الله يحل في الحوادث أو تحل فيه فقد كفر.

الفصل الثاني

في مسألة الكلام(1)

---

(1) صفة الكلام لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف ونذكر بعض الأدلة التي تثبت بها صفة الكلام لله سبحانه وتعالى:

أولاً من القرآن:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ﴾.

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾.

وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.

وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾.

﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ﴾.

﴿يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾.

وغيرها في القرآن كثير جداً.

ثانياً: من السنة:

والأحاديث في السنة بلغت حد التواتر في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى نذكر منها قطفاً تكون نوراً للمستبصر وحجة على الزائغ المتكبر.

ما أخرجه البخاري رقم (3228) ومسلم رقم (2652) من حديث أبي هريرة : أن النبي =

صلى الله عليه وسلم قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة؟ قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمرٍ قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى».

ما أخرجه أحمد وغيره (3/ 390) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجلٍ يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل» الحديث صحيح وهوفي «الصحيح المسند».

حديث أبي أمامة عند ابن حبان وغيرن (2085) أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبياً كان آدم؟ قال:«نعم مكلماً» الحديث صححه شيخنا الوادعي في صحيحه المسند.

حديث أبي سعيد عند الشيخين البخاري رقم (3170) ومسلم رقم (222): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله يوم القيامة يا آدم أخرج بعث النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين فعند ذاك يشيب الصغير وتضع كل ذات حملٍ حملها» الحديث.

حديث أنس عندهما البخاري رقم (3162) ومسلم رقم (193): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل: «فيقول –أي الله- يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع...» الحديث. وحديث عدي بن حاتم ما منكم من أحد إلا يكلمه ربه متفق عليه

ثالثاً: إجماع السلف رحمهم الله على إثبات صفة الكلام لله، وأن كلام الله غير مخلوق:

النصوص عن السلف الصالح من الصحابة وغيرهم على إثبات كلام الله سبحانه وتعالى كثيرة جداً نذكر منها ما تيسر:

ما أخرجه البخاري (2518) ومسلم (2770) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحياً يتلى ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يتلى...»الحديث.

أخرج الدارمي في رده على الجهمية عن عمرو بن دينار (88) قال: أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله خالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود.

قال إسحاق بن راهويه بعد ذكر قول عمرو بن دينار كما عند البيهقي في الأسماء والصفات: وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من البدرين والمهاجرين والأنصار مثل: جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأجلة التابعين وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة.

وأخرج الدارمي أيضاً بسند صحيح (ص88) عن جعفر بن محمد: أنه سئل عن القرآن خالق أو =

مخلوق؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.
وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله بن المبارك، عند أن سئل عن القرآن: فقال: هو كلام الله غير مخلوق.
وبهذا القول قال بقية بن الوليد والقاسم الجزري، والمعافى بن عمران وغيرهم كثير، وهو قول أهل السنة قاطبة من السلف والخلف ولا يخالف هذا إلا جهمي خبيث.
قال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص37): القرآن كلام الله غير مخلوق.
قال الصابوني في «رسالته في السنة» :ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله، غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم.
وقد قال اللالكائي: وهو أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري رحمه الله في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (1/ 312) رقم (393) بعد أن ذكر رحمه الله العلماء الذين قالوا: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق من البلخين والنيسابورين وأهل خراسان وأهل الحجاز واليمن والشام ومصر وغيرها من البلدان، قال: قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر من التابعين والأئمة المرضين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام.
وقد أفتى كثير من العلماء بقتل من قال: إن القرآن مخلوق، نقل ذلك أبو القاسم هبة الله اللالكائي عن جماعة منهم: مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومفتيها، قال: من قال القرآن مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.
وأفتى به أيضاً سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح وغيرهم كثير.
وقد أفتى أيضاً غير واحد من أهل العلم: أن امرأته تحرم عليه لأنه كافر وامرأته مسلمة كعبد الله بن المبارك وأبو الوليد الطوسي.
وقد أفتى أيضاً جمع منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد والثوري ويزيد بن هارون، وأبو معاوية الضرير والربيع بن سليمان المرادي وغيرهم أنهم لا يورثون ولا يصلى خلفهم ولا تعاد مرضاهم ولا تشهد جنائزهم وإن موالاة الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين.
فانتبهوا أيها المسلمين من هذا القول الخطير الذي تبناه في هذا العصر الرافضة والمعتزلة من أمثال حزب التحرير وغيرهم!
كلام الله سبحانه وتعالى لرسله في الدنيا له ثلاث حالات مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم﴾.
النوع الأول: من التكليم: هو الوحي المجرد ويقع للأنبياء عليهم رحمة الله وسلامه أجمعين رؤيا كما =

حصل لإبراهيم عليه السلام: «إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى» وقد قال عبيد بن عمير رحمه الله كما في كتاب «الوضوء من صحيح البخاري»: رؤيا الأنبياء وحيٌ، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾. وأول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، وفي رواية الصادقة كما في حديث عائشة عند الشيخين.

والنوع الثاني: هو التكليم من وراء حجاب، وهذه أشرف المراتب، أو أشرف أنواع التكليم، وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وحديث أنس في الصحيحين: «فأوحى الله إليّ ما أوحى»، ثم ذكر أنه افترض عليه خمسين صلاة.

ووقعت قبله لموسى عليه السلام والأدلة كثيرة في ذلك منها: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ وقد تقدم حديث أبي هريرة في محاجة آدم وموسى وقول آدم: يا موسى اصطفاك الله برسالته وبكلامه.. الحديث.

ووقعت لآدم عليه السلام قال الله: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ ومن السنة ما تقدم من حديث أبي أمامة عند أحمد وغيره «نبياً كان آدم؟ قال: نعم مكلماً».

النوع الثالث: التكليم بواسطة الرسل؛ لقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾ كإرسال جبريل عليه السلام.

قال ابن كثير رحمه الله بعد سوق الآية السابقة: "هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل، وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النب صلى الله عليه وسلم شيئاً لا يتمارى أنه من الله كما جاء في صحيح ابن حبان: «إن روح القدوس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»".

قال رحمه الله وقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ كما كلم موسى عليه السلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها، وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله: «ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً» وكان قد قتل يوم أُحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا.

قال: وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء﴾ كما ينزل جبريل وغير من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام اهـ.

الفرق بين الوحي والتكليم:

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله كما في «الفتاوى» (2/ 397-402): بعض الفروق نلخصها في الآتي:

أولاً: الوحي: هو الإعلام السريع الخفي، إما في اليقظة وإما في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحيٌ ورؤيا المؤمن جزء من سنته وأربعين جزاءً من النبوة، وفي اليقظة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد =

كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر»، وفي رواية الصحيح: «مكلمون» وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ وقد يكون هذا الإيحاء يقظة أو مناماً، أو بصوت هاتف داخلي –أي في الإنسان–.

ثانياً: إرسال الرسول كما في حديث عائشة في الصحيحين عند أن سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشده عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، وهذا غير الوحي الأول، فهذا إيحاء الرسول، فهذا أحياناً يكون في الباطن مثل صلصلة الجرس، وفي الظاهر مثل تمثله له بصورة دحية وغيرها.

ثالثاً: التكليم من وراء حجاب، وذكر رحمه الله كلامه لموسى إلى أن قال رحمه الله –راداً على من زعم أن تكليم الله لموسى مثل الوحي: وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام في كتاب الله بينهما عموم وخصوص، فإذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية، واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال: ﴿فاستمع لما يوحى﴾.

وأما التكليم الخاص، فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم، كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل كما قال تعالى لزكريا: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ثم قال: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فالإيحاء ليس بتكليم ، ولا يناقض الكلام اهـ.

فتلخص لنا من كلام شيخ الإسلام: أن الإيحاء ينقسم إلى عام وخاص:

وأن الكلام ينقسم إلى عام وخاص.

وأن التكليم اندرج في الوحي العام ولم يندرج في الوحي الخاص، فتكليمه الخاص لمن أراد من رسله أو ملائكته منَّه إليه وقد ثبت أنه كلم موسى بصوت سمعه منه اهـ.

كلام الله لخلقه في الآخرة:

تقدم تقسيم أنواع كلام الله لخلقه ولرسله في الدنيا؛ والآن نشرع في تقسيم كلام الله لخلقه في الآخرة، وهو على ثلاثة أقسام دل عليها الكتاب والسنة:

الأول: كلام الله لأهل الموقف عامة برهم وفاجرهم إلا ما استثناه الدليل:

وهذا التكليم يقع بغير واسطة كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ وحديث أبي هريرة وغيره: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».أخرجه مسلم.

ويحرم بعض الخلق من سماع كلام الله بسبب بعض الذنوب والمعاصي، كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ =

يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَـأْكُلُونَ فِي بُطُـونِهِمْ إِلاَّ النَّـارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:174].

وحديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

الثاني: كلام الله لأهل الجنة منَّة منه وفضل:

كما في حديث أبي سعيد □ «أن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ قالوا: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» متفق عليه.

الثالث: تكليم الله لأهل النار توبيخاً وتقريعاً:

كما قال الله لهم: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون﴾ وكما في حديث: «يقول الله لأهون أهل النار عذاباً لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها..» الحديث في مسلم من حديث أنس.

افتراق الناس في مسألة الكلام:

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى في «شرح الطحاوية»(179): وقد افترق الناس في مسألة الكلام إلى تسعة أقوال:

الأول: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني إما من العقل الفعال عن بعضهم أو من غيره، وهذا قول الصابئة والفلاسفة.

الثاني: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

الثالث: أنه معنى واحدا قائماً بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب والأشعري وغيره.

الرابع: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

الخامس: أنه حروف وأصوات؛ لكن تكلم الله بها بعد إن لم يكن متكلماً، وهذا قول الكرامية وغيرهم.

السادس: أن كلامه يرجع إلى ما يُحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازي في كتابه المطالب العالية.

السابع: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره، وهو قول الماتريدي.

الثامن: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول =

أبي المعالي وأتباعه.

التاسع: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا قول أئمة الحديث والسلف اهـ.

العاشر: زاد ابن القيم رحمه الله كما في «مختصر الصواعق» (2/ 286) مذهب أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه ونثره، وحقه باطله سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش كما قال قائلهم:

وكل كلامٍ في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا مبنيٌ على مذهبهم الذي أصلوه، أن الله تعالى وتنزه عن قولهم عين الوجود اهـ.

الرد على الفلاسفة والصائبة في تعريف الكلام:

الناظر في تعريفهم للكلام يرى أنهم جعلوا كلام الله لا وجود له خارج نفس الرسول، وإنما هو ما يفيض على النفوس من المعاني أو هو ما يفيض من العقل الفعال أو غيره.

وربما قالوا: العقل الفعال هو جبريل وربما قالوا غيره.

ويقولون: كلام الله محدث في نفس النبي والكلام الذي سمعه موسى كان موجوداً في نفسه لم يسمع موسى كلاماً خارجاً عن نفسه.

وقد كفر شيخ الإسلام رحمه الله أصحاب هذا القول بقوله: "وهذا القول أبعد عن الإسلام ممن يقول القرآن مخلوق" «مجموع الفتاوى» (12/ 163).

وقول (12/ 42) وقد تنازعوا في كلام الله نزاعاً كثيراً، وأبعدهم عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة والصائبة -ثم ذكر بعض الأقوال السابقة-، وقول هؤلاء في الحقيقة:

تعطيل صفة الكلام لله رب العالمين على الحقيقة.

تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن القرآن منزل على الحقيقة.

تكذيب المعلوم من دين الإسلام أن الذي كان ينزل القرآن هو جبريل عليه السلام، وليس هو العقل الفعال.

عدهم ألفاظ القرآن وحروفه من إنشاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن العقل الفعال فاض عليه بالمعاني والألفاظ.

موافقتهم الجهمية في كونه مخلوقاً.

قاله صاحب «العقيدة السلفية في كلام رب البرية» ص295-296.

الرد على المعتزلة والجهمية القائلين بخلق القرآن:

تقدم في باب افتراق الناس في مسألة الكلام: أن المعتزلة والجهمية يرون أن القرآن مخلوق خلقه الله =

منفصلاً عنه.

وقد استدل المعتزلة على هذا القول ببعض الشبه التي سرعان ما تتهاوى أمام البراهين الدامغة من الكتاب والسنة والحجج الساطعة من أئمة السنة.

الشبهة الأولى: القرآن شيء، وقد قال الله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ ولفظ كل في يفيد العموم، فالقرآن داخل في هذا العموم.

قال ابن أبي العز (ص183) وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ والقرآن شيء فيكون داخلاً في عموم (كل) فيكون مخلوقاً، فمن أعجب العجب وذلك أن أفعال العباد عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعاً لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم (كل) وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر والآخر بآخر... إلى أن قال رحمه الله: وعموم كل في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك أن المراد بالتدمير كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير، وكذلك قوله سبحانه حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام.

والمراد بقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كل شيء مخلوق وكل موجود سوى الله، فهو مخلوق فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى وصفاته ليست غيره اهـ. والله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بأنه نفس قال تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فهل يدخل الجهمي نفس الله تعالى في هذا العموم؟

الشبهة الثانية: قالوا القرآن مجعول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ والجعل الخلق.

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى (ص186): وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، فما أفسده من استدلال، فإن (جعل) إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ وغيرها إلى قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ اهـ.

فلو كان جعل بمعنى خلق لكان من أفسد الفساد كيف يجوز أن يقال: "وقد خلقتم الله"، فنعوذ بالله من الضلال ومن اتباع الهوى.

الشبهة الثالثة: قالوا القرآن محدث والمحدث، مخلوق قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

والجواب: عن هذه الشبهة: اعلم أن محدث في اللغة هو كون الشيء بعد أن لم يكن، قال أبو عبيد القاسم بن سلام، كما في خلق أفعال العباد للبخاري رحمه الله (ص37)، "محدث" حدث عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما عَلَّمه اللهُ ما لم يكن يُعْلَم.

وقال ابن قتيبة في «الاختلاف في اللفظ»: المحدث ليس هو في مَوْضِع بمعنى مخلوق، فإن أنكروا ذلك فليقولوا في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أنه يخلق كذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي يحدث لهم القرآن ذكراً، والمعنى يجدد عندهم ما لم يكن، وكذلك قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي ذكر حدث عندهم لم يكن قبل ذلك اهـ.

وقال شيخ الإسلام (12/ 522) فإن احتج بعضهم بهذه الآية ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ قال: هذه الآية حجة عليك فإنه لما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ علم أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث.

ويُعلم: أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل جديداً، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخر" اهـ.

الشبهة الرابعة: قالوا جعل الله أمره مقدوراً والمقدور المخلوق، وأمره كلامه، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

قال صاحب «العقيدة السلفية» (ص310): ولفظ الأمر إذا أضيف إلى الله تعالى يأتي على تفسيرين:

الأول: يراد به المصدر كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ وهو غير مخلوق، وهذا يجمع على "أوامر".

والثاني: يراد به المفعول الذي هو المأمور المقدور كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، فالأمر هنا هو المأمور، وهذا يجمع على "أمور"، وهو مخلوق، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في احتجاجه على الجهمية، قال الله: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ ففرق بين الخلق والأمر.

وقال أيضاً: وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ فأخبر بالخلق، ثم قال: والأمر، وأخبر أن الأمر غير مخلوق، وبهذا الجواب أجاب سفيان بن عيينة شيخ الإمام أحمد رحمهما الله، فقال: ما يقول هذا الدويبة -يعني المريسي بشر-؟ قالوا: يا أبا محمد يزعم أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ فالخلق خلق الله تبارك وتعالى، والأمر القرآن" اهـ.

وقال شيخ الإسلام (8/ 412): ففي قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ المراد به المأمور به المقدور، وهذا مخلوق، وأما في قوله: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا =

الأفعال التي أمرنا بها، وإنما أنزل القرآن، وهذا كقوله: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ فهذا الأمر هو كلامه.

وقال رحمه الله قبل ذلك (8/ 412): ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول، فالمفعول مخلوق مثل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللّهِ﴾ وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ فهنا المراد به المأمور به، ليس المراد به أمره الذي هو كلامه، ثم بين رحمه الله أن مصدر الأمر هو كلامه، وهو غير مخلوق اهـ.

ومما استدل بها هؤلاء الضُّلال على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى: ﴿نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ قالوا: إن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها.

وهذا القول بيّن فساده ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» فقال: استدلوا بالآية على أن الكلام خلقه الله في الشجرة، فسمعه موسى منها وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ﴾ والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: "يا موسى إني أنا الله رب العالمين"، وهو قال: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ غير ربّ العالمين، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ صدقاً؛ إذ كلا الكلامين عندهم مخلوق، قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد أن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا خلقه فرعون فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله اهـ.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: باب ما أنكرت الجهمية من أن الله كلم موسى، فقلنا لهم: لم أنكرتم؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كون شيئاً فعبر عن الله خلق صوتاً فأسمعه، فقلنا لهم: هل يجوز أن يكون لمكوَّن غير الله أن يقول: ﴿يا موسى إني أنا ربك﴾ أو يقول: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمية أن الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكوَّن يا موسى إن الله رب العالمين، ولا يجوز أن يقول: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾" اهـ.

الشبهة الخامسة: قالوا قد قال الله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وهذا يدل على أن الرسول أحدثه إما جبريل أو محمد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في جواب هذه الشبهة كما في «مجموع الفتاوى» (12/ 521): "قال: وإن احتج بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ قيل: له فقد قال في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ، وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾، فالرسول في هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم والرسول في الأخرى جبريل، فلو =

أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه أضافه إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث، ولهذا قال: لقول رسول، ولم يقل ملك ولا نبي ولا شك أن الرسول بلغه كما قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموسم، ويقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»" اهـ.

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى (ص187): ذكر الرسول معرِّف أنه مبلِّغ عن مرسله؛ لأنه لم يقل إنه قول ملك أو قول نبي، فعلم أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه إنشاء من جهة نفسه، وأيضاً الرسول في إحدى الآيتين جبريل وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ؛ إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

وأيضاً فقوله: رسول أمين دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسله بتبليغه، ولا ينقص منه، وأيضاً فإن الله قد كفر من جعله قول البشر، ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن جعله قول محمد بمعنى أنه أنشأه فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول هو قول بشر أو جني أو ملك.

والكلام كلام من قاله مبتدأ لا من قاله مبلغاً، ومن سمع قائلاً يقول: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: «إنما الأعمال بالنيات» قال هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم..﴾ قال: هذا كلام الله، ولهذا لو سمع أحد من أحدٍ نظماً أو نثراً يقول له: هذا كلام من؟ هذا كلامك أم كلام غيرك؟

الشبهة السادسة: قالوا: إن الله سبحانه وتعالى سمى عيسى عليه السلام كلمته، فقال: "إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم" وقال: ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وعيسى مخلوق، فالكلمة مخلوقة.

ومعنى الآية: أن عيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له: ﴿كن﴾ كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾ و﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾.

والكلمة "كن" لا عين عيسى، والمكون هو عيسى عليه السلام، وبهذا أجاب غير واحد من الأئمة اهـ أفاده صاحب كتاب «العقيدة السلفية».

وقال السلمان في «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» (ص380-381): وأما قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ فالمعنى أنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من الروح، فعيسى ناشئ عند الكلمة وليس هو نفس الكلمة، وقوله: ﴿وروح منه﴾ يعني أنه كائن منه تعالى، أي موجده وخالقه فهو روح من الأرواح التي خلقها الله كما قال: =

﴿وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعا منه﴾ أي مخلوقة بأمره اهـ.
ومن شبه هؤلاء النوكا أنهم يقولون يلزم من إثبات كلام الله التشبيه والتجسيم، فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالى يتلكم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم، ألا تر أنه قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى والطعام وسلام الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة المعتمد على مقاطع الحروف، أفاده ابن أبي العز رحمه الله (ص181).
ومن قولهم أيضاً قالوا: القرآن ترد عليه سمات الحدوث والخلق من وجوه عدة:
قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ فأخبر عن وقوع النسخ فيه.
هو حروف متعاقبة يسبق بعضها بعضاً.
لا يكون إلا بمشيئة واختيار، فيلزم منه أن تسبقه الحوادث ويتأخر عنها.
له ابتداء وانتهاء وأول وآخر.
هو متبعض متجزئ.
منزل والنزول لا يكون إلا بحركة وانتقال وتحول.
مكتوب في اللوح والمصاحف وما حد وحصر فهو مخلوق.
وهذه الصفات وما يشببها صفات للمخلوق المُحْدَث.
قال شيخ الإسلام رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (2/ 99) هذه المعاني جميعاً مبنية على أصلهم الذي ابتدعوه لإثبات خلق العالم، وقدم الصانع وهو الاستدلال على حدوث العالم بطريقة الحركة، فقالوا: لا يمكن معرفة الصانع إلا بإثبات حدوث العالم، ولا يمكن إثبات حدوث العالم إلا بإثبات حدوث الأجسام والاستدلال على حدوث الأجسام إنما هو بحدوث الأعراض القائمة بها الحركة والسكون، فهذا الأصل المبتدع هو الذي جرهم إلى القول بخلق القرآن ونفي الصفات والأفعال لله تعالى اهـ.
ولو أنهم استسلموا لله سبحانه وتعالى وامتثلوا قوله وصاروا على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف لما وقعوا في هذه الأصول الفاسدة، فنسأل الله السلامة.
ومن شبه المعتزلة أيضاً، قولهم: إن إضافة الكلام إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله.
و الإضافة إلى الله سبحانه وتعالى، تنقسم إلى قسمين: إضافة أعيان، وإضافة صفات، و الأعيان التي تقوم بنفسها إضافتها إلى الله تكون إضافة تشريف أو خلق وملك وغير ذلك.
وإن كانت معاني لا تقوم بنفسها، فإضافتها إلى الله تعالى إضافة صفة إلى موصوف. =

فنقول: القرآن كلام الله نزله على محمد صلى الله عليه وسلم معجزٌ بنفسه، متعبدٌ بتلاوته.

والكلام حقيقة: الأصوات والحروف، وإن سُمي به المعنى النفسي، وهو نسبة بين مفردين قائمةٌ بالمتكلم، فمجازٌ.

والكتابة كلام حقيقة، فلم يزل الله تعالى متكلماً كيف شاء وإذا شاء بلا كيف[1]، يأمر بما شاء ويحكم، هذا مذهب الإمام أحمد وأصحابه، وهو إمام أهل السنة بلا نِزاع، ومذهب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري إمام الحديث بلا دفاعٍ، وجمهور العلماء. قاله ابن مُفلح في «أصوله» وابن قاضي الجْبَلِ.

فقولنا: **معجزٌ بنفسه**؛ أي: مرادٌ به الإعجاز، كما أنه مقصود به بيان الأحكام والمواعظ، وقص أخبارِ من قُصَّ في القرآن من الأمم. دليل التحدي قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:88] أي: فأتوا بمثله إن

فمن هنا يتبين أن إضافة الكلام إلى الله تعالى هو من النوع الثاني، أي إضافة الصفات ككلام الله، وعلم الله، وقدره الله وغيرها.

تقدم الرد على الجهمية والمعتزلة وبيان فساد اعتقادهم في مسألة الكلام، وأنه مخالف لما عليه أئمة الدين من الصحابة فما بعدهم إلى يومنا هذا، وليس لهم من دليل إلا الشبهات وسرعان ما تتهاوى أمام قول الله سبحانه وتعالى وقول رسوله، مع فهم السلف الصالح بعيداً عن علم الكلام والجدل.

ولتعلم: أن المعتزلة قد فرخوا وباضوا، ومن هذه الأفراخ الأشاعرة ومن وافقهم من ماتريدية وسالمية وكلابية، وإن اختلفوا في بعض الأمور والتعريفات؛ لكنهم لم يصفوا معتقدهم من شوائب البدع والضلال.

(1) أي بلا كيف معلوم لنا وإلا ما من صفة من الصفات إلا ولها كيفية وأهل السنة يفوضون علم الكيف ويثبتون المعنى بخلاف أهل البدع الذين يفوضون المعنى فتنبه

ادعيتم القدرة، فلما عجزوا تحداهم بعشر سورٍ، ثم بسورةٍ، ثم بحديث مثله[1].

وقولنا: **متعبدٌ بتلاوته** ليخرج الآيات المنسوخة اللفظ، سواء بقي حكمها أم لا؟ لأنها صارته بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها[2].

وقولنا: **والكتابة كلام حقيقة**؛ لقول عائشة رضي الله عنها: ما بين دفتي المصحف كلام الله[3]؛ ولأن من كتَبَ صريحَ الطلاقِ يقع عليه الطلاق بذلك، ولو لم ينوهِ على الصحيح.

وقولنا: **لم يزل الله تعالى متكلماً كيف شاء، إذا شاء بلا كيفٍ، يأمر بما شاء ويحكم**؛ لأن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى: أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، فإن الكلام صفة كمالٍ، ومن يتكلم أكملُ ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون كذلك.

---

(1) قال تعالى متحدياً أن يأتوا بسورة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:23]. وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[هود:13].

(2) في صحيح الإمام مسلم (1050) من حديث أبي موسى الأشعري قال: إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها ﴿يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون﴾ فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة اهـ.

وعن زر قال: قال لي أُبي بن كعب عند الطيالسي رقم (540) قلت: كذا وكذا، آية قال: إنا كنا نضاهي بها سورة البقرة وإن كنا لنقرأ فيها والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله ورسوله فرفع فيما رفع.

(3) لم أقف على إسناد له، وقال الشيخ الألباني (2559): لم أقف على إسناده.

وقولنا: **والكلام حقيقة الأصواتِ والحروف ...إلخ.**

قال الإمام الطوفي من الحنابلة: إنما كان حقيقة في العبارة مجازاً في مدلولها لوجهين:

أحدهما: أن المتبادر إلى فهم أهل اللغة من إطلاق الكلام إنما هو العبارة والمتبادرة دليل الحقيقة.

الثاني: أن الكلام مشتق من الْكَلْمِ لتأثيره في نفس السامع، والمؤثر في نفس السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية.

نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة، والعبارة مؤثرة بالفعل، فكان ما هو مؤثر بالفعل أولى بأن يكون حقيقة، وما هو مؤثرة بالقوة مجازاً.

ومما يبطل القول بأن القرآن هو المعنى النفسي وجوه كثيرة:

أحدها: أن الله سبحانه تحدى الخلق بالإتيان بمثله، والتحدي إنما وقع بالإتيان بمثل هذا الكتاب بغير إشكال؛ لأن ما في النفس لا يُدْرَى ما هو، ولا يسمى سُورًا ولا حديثًا، ولا يجوز أن نقول فأتوا بحديثٍ مثل ما في نفس الباري؛ ولأن المشركين إنما زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن وتقوله، فرد عليهم دعواهم بِتَحَدِّيْهِمْ بمثل ما زعموا أنه مُفترى ومُتقول دون غيره، وهذا واضح لا شك فيه.

الثاني: أنهم سموه شِعْراً، فقال الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾[يس:69]. ومن المعلموم أنهم عَنَوا هذا النظم؛ لأن الشعر كلام موزون فلا يُسمى به معنى ولا ما ليس بكلام، فسماه الله تبارك

وتعالى ذِكرًا وقرآنًا مبينًا، فلم تبق شُبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا النظم دون غيره.

الثالث: أن بعض الكفار زعم أنه يقول مثله، ومنهم من طلب تبديله، ونهى بعضهم بعضاً عن سماعه وأمروا باللَّغوِ فيه.

من المعلوم اليقيني أن هذا كله لا يتعلق إلا بهذا الكتاب دون ما في النفس، فإن الكفار ما اعتقدوا في نفس الباري شيئاً يريدون تبديله أو يزعمون أنهم يقولون مثله، ولا ينهون عن سماعه، مع إشارتهم إلى حاضرٍ.

الرابع: أن الله سمى القرآن عربياً، فقال: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾[الزمر:28] أي: غير مخلوقٍ، وَحَدِيْثاً بقوله: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾[القلم:44]. وإنما يتعلق هذا الوصف باللفظ دون المعنى.

أشار إلى هذه الوجوه شيخ الإسلام المُوَفَّقُ صاحب «المغني» في كتابه «البرهان» وأطال رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قال الطوفي رحمه الله تعالى: وأما قوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾[المجادلة:8] فمجاز؛ لأنه إنما دل على المعنى النفسي بالقرينة وهي، قوله: ﴿في أنفسهم﴾[المجادلة:8]، ولو أُطلق لما فُهم إلا العبارة، وكذلك كل ما جاء من هذا الباب إنما يفيد القرينة، ومنه قول عمر: زوّرتُ في نفسي كلاماً.

وأما قوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾[الملك:13]، فلا حجة فيه؛ لأن الإسرار خلاف الجهر، وكلاهما عبارة عن أن يكون أحدهما أرفع

صوتاً من الآخر، وأما بيت الأخطل[1] فيقال: إن المشهور فيه: إن البيان لفي الفؤاد.

وبتقدير أن يكون كما ذكروا فهو مجاز عن مادة الكلام، وهو التصورات المصححة له، إذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد كلاماً! ثم هو مبالغة من هذا الشاعر في ترجيح الفؤاد على اللسان.

وأدلة السلف على كون الكلام حقيقة هو الأصوات والحروف: الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب:

فقول الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾[النساء:164] وقال: ﴿وكلمه ربه﴾[الأعراف:143]، وقال: ﴿منهم من كلم الله﴾[البقرة:253] والتكليم هو ما سمعه المُتكلم ويصل إلى سمعه، والمسموع إنما هو الحروف والأصوات لا المعاني، وكذلك قوله تعالى: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾[الشعراء:10] والنداء لا يكون إلا صوتاً، وفي القرآن من هذا الكثير.

وأما السنة:

فقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل

---

(1) يقصد قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهذا البيت قاله شاعر نصراني وإن لم يكن نصرانياً فقد قاله بعد فساد اللسان العربي، ثم هذا البيت آحاد وهم لا يحتجون بخبر الآحاد في هذا الباب، ثم إن البيت قد وجد بلفظ:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

السماء» وروي ذلك موقوفاً على عبد الله بن مسعود[1]، فروى عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «الرد على الجهمية» أنه قال: قلت: يا أبةِ إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوتٍ، فقال: كذبوا، إنما يدورون على التعطيل[2].

ثم قال: حدثني عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء[3]. قال أبو نصرٍ السجزي: وما في رواية الإمام مقبول.

وفي الحديث أن النبي قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة في صعيدٍ واحد، فيناديهم بصوت[4] رفيع غير فظيع» ذكره أبو حذيفة إسحاق بن بشر في كتابه.

---

(1)المرفوع أخرجه أبو داود (4738) من طريق الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم به وذكره البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده ... وأخرجه البخاري (7481) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : إذا قضى الله الأمر في السماء ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ قَالَ عَلِيٌّ وَقَالَ غَيْرُهُ صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا {فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} وهو عند عبد الله بن أحمد في السنة رقم (534) ورقم (526) و (527) وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (201) والأثر مخرج في الصحيحة رقم (1293) وجاء عن ابن عباس عن عبد الله بن أحمد في السنة رقم (538) وسنده ضعيف

(2)أخرجه عبد الله في السنة رقم (533) .

(3)أخرجه عبد الله بن أحمد موقوفا والبخاري معلقا وقد تقدم الصوت ثابت لله عز وجل ففي البخاري (7483) عن أبي سعيد رضي الله عنه « يقول الله : يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت » الحديث

(4)علقه البخاري في كتاب التوحيد قبل رقم (7481) ووصله في خلق أفعال العباد (462) والأدب المفرد (970) وسنده ضعيف والصوت كما تقدم ثابت لله عز وجل على ما هو متقرر من عقيدة أهل السنة وقد تقدم الكلام وهذا الحديث يدور على عبد الله بن محمد بن عقيل مختلف فيه والراجح ضعفه

وروى أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أهل الجنة إذا رأوا ربهم تبارك وتعالى فيناديهم بلذاذة[1] صوته، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، ومن قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة»[2] قال الموفق في «البرهان»: حديث صحيح.

وأما الإجماع:

فإنهم مجمعون على أن موسى سمع كلام الله تعالى منه بغير واسطة، والصوت هو ما يُسمع.

وروي عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إضافة الصوت إلى الله تعالى من غير نكير من أحدٍ منهم كما تقدم عن ابن مسعود وغيره، وجاء في الخبر أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، بم شبهت صوت ربك؟ قال: إنه لا شبه له[3].

وقال أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: إعرابُ القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه[4].

---

(1)الحديث موضوع وهو مخرج في الموضوعات لابن الجوزي (2 / 259)

(2)رواه أبو عثمان الصابوني في المئتين والبيهقي في الشعب عن عمر وسنده ضعيف وانظر كنز العمال (2389) ولكن الحديث قد جاء مرفوعا والراجح الوقف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ حرفا من كتاب الله ...» الحديث أخرجه الترمذي (2910)

(3)أخرجه عبد بن أحمد في السنة (542) وأخرجه الآجري في الشريعة رقم (691) وهذا الأثر من الإسرائيليات

(4)أخرجه البيهقي في الشعب وراجع كنز العمال (5/ 430)

وسُئل عليٌ عن الجُنبِ هل يقرأ القرآن؟ قال: لا، ولا حرفاً[1].

وعنه أنه قال: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله[2].

وقال ابن مسعود: ما من مؤمن يقرأ حرفاً من القرآن ولو شئت لقلت اسماً تاماً، ولكن حرفاً إلا كتب الله تعالى له عشر حسنات[3].

وأجمعوا على أنه من جحد سورة من القرآن أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر.

قال أبو النصر السجزي: هذه حجة قاطعة أنه حروف. قاله في «البرهان».

فإن قيل: فالصوت لا يكون إلا من جرمين، والحروف إنما تكون من مخارج ولا يوصف الله تعالى بذلك، فالجواب من وجوه:

أحدها: أن يقال: من أين علمتم هذا؟ فإن قالوا: لأنها في حقنا كذلك، فكذلك في حق الله تعالى قياساً له علينا.

قلنا: هذا خطأ واضح، فإن الله تعالى لا يقاس على خلقه ولا يُشبَّهُ بِهِم، ولا تُشبِهُ صفاته صِفاتهم، ومن فعل ذلك كان مشبهاً ضالاً.

الثاني أن هذا باطل، فإن الله تعالى قال: ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾[يس:65] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي

---

(1) أخرجه عبد الرزاق (1206) وابن أبي شيبة والبيهقي في الكبرى (1 / 89) والمسألة خلافية بين أهل العلم راجع المحلى (1 / 77)

(2) رواه عبد الرزاق عن ابن مسعود وانظر كنز العمال (4026)

(3) تقدم ذكر الحديث .

أنطق كل شيء﴾[فصلت:21] وأخبر أن السماوات والأرض قالتا: ﴿أتينا طائعين﴾[فصلت:11]، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حجراً كان يسلم عليه[1]، وأن الذراع المسمومة كلمته[2]، وقال ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل[3].

ولا خلاف في أن الله تعالى قادر على إنطاق الحجر الأصم بغير مخارج ولا أدواتٍ.

الثالث: أنه يلزمهم أن يقولوا في سائر صفات الله تعالى كذلك، فيقولون: إن العلم لا يكون إلا بقلب، والبصر لا يكون إلا من حَدَقَةٍ، والسمع لا يكون إلا من انخراقٍ، فإن طردوا ذلك في الصفات كلها صاروا مجسمين كافرين، وإن نفوا هذه الصفات صاروا معطلين، وإن أثبتوها من غير أدواتٍ لزمهم إثبات هذه الصفة أيضاً، وإلا فما الفرق؟!!

وقال الغزالي: من أحال سماع موسى كلاماً ليس بحرف ولا صوتٍ، فليحل يوم القيامة رؤية ذات ليست بجسمٍ ولا عرض [انتهى].

وقال الطوفي: كل هذا تكلف وخروج عن الظاهر، بل عن القاطع من غير ضرورة إلا خيالات لاهية[4] وأوهام متلاشية، وما ذكروه معارض بأن المعاني

---

(1) أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة رقم (2277).

(2)أخرجه أبو داود (4510) والدارمي (1 / 22) عن جابر بسند صحيح وأخرج البخاري رقم (5777) عن أبي هريرة رضي الله عنه في شأن الشاة المسمومة نحوه من غير ذكر لكلام الشاة

(3) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود □ رقم (3579).

(4) في نسخة لاغية

لا تقوم شاهداً إلا بالأجسام، فإن أجازوا معنى قام بالذات القديمة وليست جسماً فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة وليست جسماً، إذ كِلا الأمرين خلاف الشاهد، ومن أحال كلاماً لفظياً من غير جسم فليحل ذاتاً مرئية من غير جسم، ولا فرق انتهى.

قال الحافظ أبو نصر السجزي: لو كان الكلام غير حرف، وكانت الحروف عبارة عنه، لم يكن بُدٌّ من أن يحكم لتلك العبارة بحكمٍ: إما أن يكون أحدثها في صدر أو لوحٍ، أو أنطق بها بعض عبيده فتكون منسوبة إليه، فيلزم من يقول ذلك أن يفصح بما عنده في السور والآي والحروف، أهي عبارةُ جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام[1]، انتهى.

تتمة:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: والذي استقر عليه قول الأشعرية أن القرآن كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروءٌ بالألسنة.

قال تعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾[التوبة:6] وفي الحديث الصحيح: «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو، كراهة أن ينالهُ العدو»[2]

---

(1) لأن الله عز وجل قول في سورة الحاقة إنه لقول رسول كريم والمقصود به محمد صلى الله عليه وسلم وقول في سورة التكوير ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ والمقصود به جبريل عليه السلام فإما أن يكون كل منهما نكلم به حقيقة وهذا محال وإما أنه أضيف إلى كل واحد منهما من حيث التبليغ فهذا حق والمتكلم به حقيقة هو الله عز وجل

(2) حديث ابن عمر □ أخرجه البخاري (2990) ومسلم (1869).

وليس المراد ما في الصدور، بل ما في المصحف. وأجمع السلف على أن الذي بين الدفتين كلام الله، [انتهى].

ولصاحب «المواقف» وهو عضد الدين رحمه الله تعالى مقالة مفردة في تحقيق كلام الله تعالى تطابق ما تقدم وذكرها السيد الشريف في «شرحه للمواقف».

وقد ظهر مما ذكره الحافظ ابن حجر وصاحب «المواقف» موافقة الشيخ الأشعري للإمام أحمد [رحمهما الله تعالى] في مسألة الكلام[1]، وان ما روي عنه مخالفاً لذلك فهو غلط من الناقل أو جهل بما استقر عليه قول الأشعري.

وقد أتى التاج السبكي في «الطبقات»[2] في ترجمة الأشعري بأصرح من ذلك فراجعه إن شئت، والله أعلم.

[تم][3].

---

(1) قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (2229) الإجماع السادس وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غي محدث ولا مخلوق وقد دل الله على صحة ذلك بقوله : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ففرق تعالى بين خلقه وأمره وقال : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فبين تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون شيئا بعد أن لم تكن بقوله وإرادته اهـ

(2) (2/ 245)

(3) للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رحمه الله رسالة بعنوان «حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدع» رد بها على الأشاعرة، تراجع للفائدة. ففيها خير عظيم رد شبه القوم التي أجلبوا بها ورفعوا بها عقائرهم، وعند المحاققة كما قيل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، ومن قال بالقرآن والسنة أفلج غيره وخصمه.

الفصل الثالث

في قواعد نافعة إن شاء الله تعالى

القاعدة الأولى: أن يقال: القول في بعض الصفات كالقول في بعضٍ.

1- فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله تعالى حي بحياة، عليم بعلمٍ، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصرٍ، مُتكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة[1]، ويُنازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته، في جعل ذلك مجازاً، ويفسره أما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات[2]، قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل.

وإن قلت: إن له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به.

قيل له: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا

(1)هذا هو قول الأشاعرة ومن نحى نحواهم من الذين يثبتون الصفات بالعقل قال شيخ الإسلام في التدمرية (23) : «قال : تلك الصفات أثبتها بالعقل، لأن الفعل الحادث دل على القدرة والتخصيص، دل على الإرادة والإحكام، دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع، والبصر والكلام، أو ضد ذلك» اهـ

(2)مثل تفسير الأشاعرة للرضى بالإحسان والغضب بالانتقام أو إرادة الانتقام وهذا تفسير للصفة بلازمها والواجب إثبات الصفة ثم إثبات اللازم .

وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

فإن قال: الغضب غليان دم القلب للانتقام؟

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ.

فإن قلت: هذه إرادة المخلوق؟

قيل لك: وهذا غضب المخلوق، وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته[1].

---

(1) هذه القاعدة التي ذكرها هي بعينها مذكورة في كتاب «التدمرية» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى (21/ 32) وتمام الكلام في «التدمرية»: إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات وإن قال: أنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين، فيجب نفيه عنه قيل له: وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة، فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض، يقال له: فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما أثبته، فإذا قال المعتزلي: ليس له إرادة ولا كلام قائم به، لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالمخلوقات، فإنه يبين للمعتزلي أن هذه الصفات يتصف بها القديم، ولا تكون كصفات المحدثات، فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة والرضا، ونحو ذلك، فإن قال: تلك الصفات أثبتها بالعقل، لأن الفعل الحادث دل على القدرة والتخصيص، دل على الإرادة والإحكام، دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع، والبصر والكلام، أو ضد ذلك قال له سائر أهل الإثبات: لك جوابان: أحدهما أن يقال: عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين، فهب أن ما سلكت من الدليل العقلي لا يثبت ذلك، فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل، لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت والسمع، قد دل عليه ولم يعارض، ذلك معارض عقلي، ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض.
المقام الثاني أن يقال: يمكن إثبات هذه الصفات، بنظير ما أثبت به تلك من العقليات، فيقال نفع العباد بالإحسان إليهم، دل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم وعقاب الكافرين، يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالشهادة والخبر: من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته – وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب =

2-وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول: إنه حيٌ عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة.

قيل له: لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات. فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا؛ لأنا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات إلا ما هو جسم؟

قيل لك: ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حيٌ عليم قديرٌ إلا ما هو جسمٌ؟ فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا بجسم، فَانْفِ الأسماء، بل وكل شيء؛ لأنك لا تجده في الشاهد إلا بجسمٍ[1].

القاعدة الثانية: أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالإثبات والنفي:

فالإثبات: كإخباره أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ونحو ذلك.

الحميدة - تدل على حكمته البالغة، كما يدل التخصيص على المشيئة، وأولى لقوة العلة الغائية، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم، أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة وإن كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول : إنه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة، قيل له : لا فرق بين إثبات الأسماء، وإثبات الصفات فإنك إن قلت : إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا أو تجسيمًا، لأنا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم قيل لك : ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا للجسم، فانف الأسماء بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا للجسم، فكل ما يحتج به من نفي الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابًا لذلك كان جوابًا لمثبتي الصفات» اهـ.

(1) وهذه القاعدة موجودة في التدمرية (ص35).

والنفي كقوله: ﴿لا تأخذه سِنة ولا نوم﴾[البقرة:]، وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال[1]، إلا إذا تضمن إثباتاً؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً؛ ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع وهما لا يوصفان بمدحٍ ولا كمال.

ولهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح كقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القويم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ إلى قوله: ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾[البقرة:255] نفيُ السِّنة والنومِ يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم.

وكذلك قوله: ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾[البقرة:255]، أي لا يكرهه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها، بخلاف المخلوق القادر؛ إذ كان يقدر على الشيء بنوع كلفةٍ ومشقةٍ، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته.

وكذلك قوله: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ [سبأ:3] فإن نَفْيَ العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات والأرض.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾[ق:38] فإن نفيَ مس اللغوب الذي هو التعب

(1)مثل قول الشاعر في ذم قومه

قبيلة لا يغدرون بذمة *** ولا يظلمون حبة خردل

أي لعجزهم عن الظلم .

والإعياء دالٌ على كمال القدرة ونهاية القوة، بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب و الكلال ما يلحقه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾[الأنعام:103] إنما نفى الإدراك[1]: الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية؛ لأن المعدوم لا يُرى، وليس في كونه لا يُرى مدحٌ، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما الممدوح في كونه لا يحاط به وإن رُئي، كما أنه لا يحاط به وإن عُلم.

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفةَ كمالٍ، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة لا على نفيها، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها قاله الشيخ تقي الدين في «التدمرية»[2].

القاعدة الثالثة:

إن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي الذي فهمه في أنواع المحاذير.

أحدها: كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن

---

(1) هذه الآية جعلها المعتزلة من شبههم في إنكار الرؤية ووجه الشبهة أنهم زعموا أن نفي الإدراك نفي للرؤية، فمعنى لا تدركه أي لا تراه، وقد أخطتت أساتهم الحفر كما يقال، بل المنفي هنا الإحاطة مع إثبات الرؤية، فالإدراك رؤية وزيادة. قال الله عز وجل في شأن موسى وقومه : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا﴾ فنفى موسى الإحاطة ولم ينف الرؤية.

(2) (57-59)

مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جعل ذلك مفهوماً وعطله، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله، حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل، فقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلاً لما يستحقه الرب [1].

(1) في التدمرية (79 – 80): إذاً فالواجب هو سلوك سبيل أهل السنة أهل العلم والأثر والفقه، والنظر الذين أخذوا بالقرآن والسنة على فهم سلف الأمة ومن فعل ذلك سلم في معتقده وسيره، ووصل إلى مرضات رب العالمين، وفيما ذكر في هذا الكتاب وغيره من الكتب المطولة والمختصرة من كتب أهل السنة والجماعة فيه نفع وجيز لمن رام سبيل المؤمنين، وحرص عليه والله يهدي من يشاء.

الخاتمة

من تحقيق التوحيد أن يُعلم أن الحقوق ثلاثة:

1- حق لله تعالى لا يُشركه فيه مخلوق.

2- وحق لرسوله صلى الله عليه وسلم.

3- وحق مشترك بينهما.

فأما حق الله تعالى وحده: فكالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى والإنابة والرجاء والاستعانة، قال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر﴾ [الشعراء:213].

وقال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾[الزمر:2] وقال تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[المائدة:23].

وقال تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾[النور:52]، فأثبت الطاعة لله والرسول، وأثبت الخشية والتقوى لله وحده(1).

---

(1) ذكر هذا الموطن وتوسع فيه شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه المفيد التوسل والوسيلة قال في اقتضاء الصراط المستقيم (277) ط دار الحديث : (والله سبحانه له حقوق لا يشركه فيها غيره ، وللرسل حقوق لا يشركهم فيها غيرهم ، وللمؤمنين بعضهم على بعض حقوق مشتركة ؛ ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال =

لي : « يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده . ؟ " . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " حقه عليهم : أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا . يا معاذ ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ " . قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " حقهم عليه أن لا يعذبهم » فالله تعالى مستحق أن نعبده لا نشرك به شيئا ، وهذا هو أصل التوحيد الذي بعثت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، قال الله تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } .

وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } .

ويدخل في ذلك أن لا نخاف إلا إياه ، ولا نتقي إلا إياه ، كما قال تعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } . فجعل الطاعة لله وللرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده .

وكذلك قال تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } . فجعل الإيتاء لله وللرسول . كما قال تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ، فالحلال ما حلله الرسول ، والحرام : ما حرمه الرسول ، والدين : ما شرعه الرسول .

وجعل التحسب بالله وحده ، فقال تعالى : { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } ، ولم يقل ورسوله . كما قال تعالى : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } .

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ، أي حسبك وحسب من اتبعك : الله ، فهو وحده كافيكم ، ومن ظن أن معناها : حسبك الله والمؤمنون ، فقد غلط غلطا عظيما من وجوه كثيرة مبسوطة في غير هذا الموضع .

ثم قال : { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ } ، فجعل الفضل لله ، وذكر الرسول في الإيتاء ، لأنه لا يباح إلا ما أباحه الرسول ، فليس لأحد أن يأخذ ما تيسر له إن لم يكن مباحا في الشريعة .

ثم قال : { إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } ، فجعل الرغبة إلى الله وحده ، دون ما سواه ؛ كما قال : { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ }{ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } ، فأمر بالرغبة إليه . ولم يأمر الله قط مخلوقا أن يسأل مخلوقا ، وإن كان قد أباح في موضع من المواضع ذلك ، لكنه لم يأمر به ، بل الأفضل للعبد أن لا يسأل قط إلا الله .

كما ثبت في الصحيح في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فجعل من صفاتهم أنهم لا يسترقون : أي لا يطلبون =

من غيرهم أن يرقيهم ، ولم يقل : لا يرقون . وإن كان ذلك قد روي في بعض طرق مسلم فهو غلط ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم رقى نفسه وغيره ، لكنه لم يسترق ، فالمسترقي طالب للدعاء من غيره ؛ بخلاف الراقي غيره ، فإنه داع له .

وقد قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » فهو الذي يتوكل عليه ، ويُستعان به ، ويُستغاث به ويُخاف ويُرجى ، ويُعبد وتنيب القلوب إليه ، لا حول ولا قوة إلا به ، ولا ملجأ منه إلا إليه ، والقرآن كله يحقق هذا الأصل .

والرسول صلى الله عليه وسلم يُطاع ويُحبُّ ويرضى ، ويسلم إليه حكمه ، ويعزر ، ويوقر ، ويتبع ، ويؤمن به وبما جاء به ، قال تعالى : { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ }.

وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } .

وقال تعالى : { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } .

وقال تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ } إلى قوله : { أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } .

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ».

وقال : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » « وقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، قال : " لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك " . قال : فلأنت أحب إلي من نفسي ، قال " الآن يا عمر » .

وقال تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } ، وقال تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }{ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } ، أي : الرسول خاصة { وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } ، أي : تسبحوا الله تعالى . فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح لله وحده . وهذا الأصل مبسوط في غير هذا الموضع .

وقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بتحقيق التوحيد وتجريده ، ونفي الشرك بكل وجه ، حتى في الألفاظ ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقولن أحدكم : ما شاء الله وشاء محمد ، بل : ما شاء الله ثم شاء محمد » ، « وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : " أجعلتني لله ندا ؟ بل: ما شاء الله وحده » والعبادات التي شرعها الله كلها تتضمن إخلاص الدين كله لله ، تحقيقا لقوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }، فالصلاة لله وحده ، والصدقة لله وحده ، والصيام لله وحده ، والحج لله وحده ، وإلى بيت الله وحده ؛ =

وقال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[آل عمران:175]، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد»[1].

وهذا لأن مشيئة الله تعالى ليست مستلزمة لمشيئة أحدٍ من العباد ولا مشيئة أحد من العباد مشيئة لله، بل ما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما شاء الناس لم يكن إن لم يشأ الله.

وأما حق الرسول صلى الله عليه وسلم المختص به: فكالتعزيز والتوقير[2] والاتِّباع، والاستسلام لحكمه[3].

قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء:65] وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[آل عمران:31] وأمثال

فالمقصود من الحج : عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها ، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية » . اهـ

(1) أخرجه ابن ماجه بعد رقم (2118) وساق سنده ولم يسق لفظه كما ذكر ذلك صاحب كتاب «تيسير العزيز العميد» (ص455) وأخره بنحوه أحمد (5/ 72) والطبراني في الكبير (8/ 324-325) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (5/ 213-214) من حديث الطفيل بن سخبرة والحديث في الصحيح المسند (524).

(2)قال الله عز وجل :﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ قال الراغب التعزير النصرة مع التعظيم . اهـ قال القرطبي في تفسيره (16 / 227) : وتعزروه أي تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير وقال قتادة: تنصروه وتمنعوا منه.ومنه التعزير في الحد.لانه مانع.قال القطامي:ألا بكرت مي بغير سفاهة * تعاتب والمودود ينفعه العزر وقال ابن عباس وعكرمة: تقاتلون معه بالسيف.وقال بعض أهل اللغة: تطيعوه." وتوقروه" أي تسودوه، قاله السدي.وقيل تعظموه.والتوقير: التعظيم والترزين أيضا » .اهـ

(3) قال الله تعالى: ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

ذلك.

وأما الحق المشترك بين الله ورسوله: فكالحب والإيمان والتصديق والطاعة.

قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[النساء:80]، وقال تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[التوبة:62].

وقال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:24].

ومن هذا الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: «من يُطع الله ورسوله فقد رَشَدَ ومن يعصهما فإنه لا يَضُرُّ إلا نفسه، ولن يَضُرَّ الله شيئاً»(1).

وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم في نونيته بقوله:

لله حق لا يكون لغيره ... ولعبده حق هما حقانِ
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... من غير تمييزٍ ولا فرقانِ
فالحجُ للرحمن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبحُ ذي القربانِ
وكذا السجود ونذرُنا ويميننا ... وكذا متابُ العبدِ من عصيانِ
وكذا التوكل والإنابة والتُّقى ... وكذا الرجاء وخشيةُ الرحمنِ
وكذا العبادة واستعانتنا به ... إياك نعبدُ ذانِ توحِيدانِ

---

(1) أخرجه ابن مسعود ☐ والحديث عند أبي داود رحمه الله برقم (1097) وهو حديث صحيح.

وعلـــيهما قـــامَ الوجـــودُ بـــأسرهِ دُنيـــا وأُخـــرى حبـــذا الرُّكنَـــانِ
وكـــذلك التـــسبيح والتكبـــير والتهليـــل حـــق إلهنـــا الـــديانِ
لَكِـــنَّما التعزيـــزُ والتـــوقيرُ حـــق الرســـولِ بمقتـــضى القـــرآنِ
والحـــبُ والإيـــمان والتـــصديق لا يَخْـــتَصُّ، بـــل حقـــانِ مـــشتركان
هـــذي تفاصـــيل الحقـــوق ثلاثـــة لا تجهلوهـــا يـــا أولي العِرفـــانِ

هذا آخر مـا تيـسر جمعـه، نـسأل الله العظـيم أن يعمـم نفعـه، وأن يجعلـه خالصاً لوجههِ الكريم، مقرِّباً لديه في جناتِ النعيم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الـصالحاتُ، والـصلاةُ والـسلام عـلى سـيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي الفـضل والكرامـات صـلاة وسـلام دائمـين مـا دامت الأرض والسماوات[1] .

---

(1)تم المراد بعون الواحد الوهاب في ضحى يوم الأحد الثامن من شهر ذي الحجة 1431 تقبل الله منـا ومن جميع المسلمين صالح الأعمال ووفقنا لصالح المعتقدات والأفعال والأقوال إنه سبحانه لما يريـد فعا وكنت كما أشرت في المقدمة قد عزمت على جعل تتمـة لكـن رأيـت أني سـأخرج عـن المقـصود فعزمت على إفراده والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .
أبو محمد عبد الحميد الحجوري .